د. أمـــل درويـــش

عـــهـــد

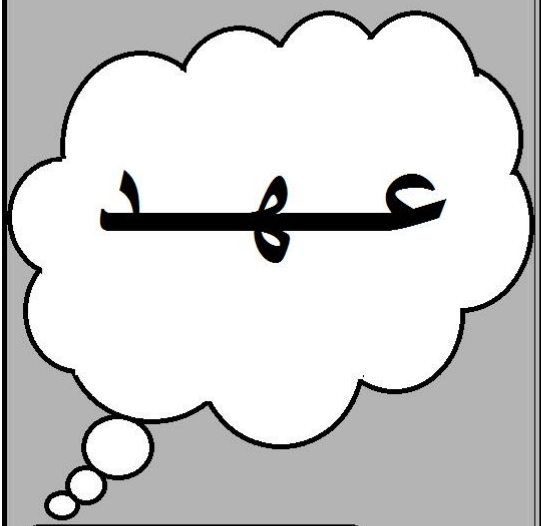

رواية

صدرت الطبعة الأولى فى فبراير 2020

المهرجان الدولى الثالث للأبداع والفنون
صعيد مصر 22/28-2-2020

الكتاب الفائز بالمركز الأول
فرع الروايـة

رئيس مجلس الأداره
ناجى عبد المنعم

أمين عام المهرجان
مـــدير المسابقات
أشرف بدير

عنوان المراسلات
ج.م.ع - محافظة الشرقية
مدينة العاشر من رمضان
مجاورة 13 أمام سنتر 13
عقار رقم304

email
nagyegy200064@gmail.com

هاتف
01011256943
01116202218
01202541192

تليفاكس
020554372901

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	عـــهـــد
المؤلف	د. أمل درويش
التصنيف	رواية
رقم الإيداع	2515 - 2020
الترقيم الدولي	978-977-6771-45-1
رقم الإصدارالداخلى	557 الطبعة الاولى فبراير 2020
عدد الصفحات	91 صفحة
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار نشـــر طبع ونشر وتوزيع الكتاب أو ترجمته أو الإقتباس منه أو نشره على النت الا بموافقة كتابية وموثقة من المـــؤلـــف

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي
رئيس مجلس الإدارة
ناجى عبد المنعم
مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017
رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572
عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018
هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901
nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات
alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat
المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – أمام سنتر الـ13 – عقار 304

الكتاب الحائز لقب
أفضل إصدار لعام 2019

عـــهـــــد

د. أمل درويش

المركز الأول فرع الرواية

إهـــــداء.

إلى كل روحٍ تغرّبت وعانت الحنين إلى الوطن..
إلى كل أرضٍ هجرها أبناؤها وعانت الفقد..
سنجتمع يوماً ونُشكّل مستقبلاً زاهراً.

عامٌ مضى.

"أكادُ لا أصدق مرور عام منذ آخر لقاءٍ بيني وبين هذا المقعد؛ فآخر مرة التقينا فيها ألقيتُ بنفسي بين أحضانه وجبالُ الهموم تجثم فوق صدري, ثم شددتُ وثاقه فوقها وكأنني لا أريد لها أن تفارقني."
كان هذا همس عهد لنفسها لحظة ركوبها الطائرة, بيَدَ أن هذه المرة تختلف كثيراً عن كل المرات السابقة التي احتضنتها في جوفها لتنقلها من عالمها لعالمٍ آخر.
لم تستطع أصوات الركاب أوً تنبيهات طاقم الطائرة أن تخرجها من عزلتها وهذا السياج الذي فرضته حولها, حتى أنها لم تنتبه لمن جلس بالمقعد المجاور لها؛ فقد أسدلت نظارتها الشمسية حاجباً, وأغلقت كل وسائل التواصل من حولها.
تنهيدةٌ بطول السنوات العشر الماضية أطلقتها في داخلها على عكس المتوقع من انفجار البركان, فليس لديها الوقت لتعبّر عما يجول بصدرها وهذه الهواجس التي اتخذت دهاليز قلبها موطناً لها دون إذن.
استسلمتْ عهد لطوفان الذكريات الذي صار ينفذ بداخلها كشعاع الضوء عند عبوره مياه الشطآن الشفافة فيكشف ما تخفيه أعماقها.
وتذكرت أول رحلة لها منذ حوالي عشر سنوات حين جلس بجوارها زوجها مروان ولم تترك يده لثانية؛ فقد تملكها رعب

وفزع شديدين منذ لحظة الإقلاع, فقد تعرضت الطائرة على حظها للعبور في منطقة منخفض جوي وخلخلة في طبقات الجو فعانت من رعشة خفيفة كانت بالنسبة لعهد زلازل مدمرة.

وفي خضم هذه الحالة من الهلع تذكرت أنها للتو حققت حلمها بأن تغزو الفضاء, كما كانت تحلم هي وياسين ابن الجيران صديق الطفولة والصبا حينما كانا يجلسان ولم تتجاوز أعمارهما السنوات الست, ويحدّقان في السماء من شرفتا منزلهما المتجاورتين ويحلم كل منهما أن يصبح رائد فضاء.

ابتسمت عهد ابتسامةً مريرةً وعادت لغرقها في محيط الذكريات, لم تكن السنوات العشرالماضية جميعها مؤلمة؛ فقد عاشت عهد مع زوجها مروان أجمل سنوات العمر, كان لها فيهم الأب الحنون والزوج المثالي والصديق والأخ الذي طالما كانت تتمناه ولم ينافسه في ذلك سوى ياسين جارها.

- لا تخافي حبيبتي؛ لن يحدث شيء فلسنا في مركبةٍ فضائيةٍ تهبط بنا على سطح المريخ.

قالها مروان ضاحكاً, فردت عليه عهد بتوتر:

- لو كنا فعلاً في مركبة فضائية لكان أهون.

- عهد.. أحبك.

كانت همسات مروان هذه كافيةً أن تلتقط عهد من بئر مخاوفها وتحلق بها في سماء العشق.

أنين الغربة.

عانت عهد كثيراً مشاعر الفقد والاغتراب طوال فترة غُربتها في دولة الكويت التي عمل بها زوجها مروان منذ سنوات فور تخرجه من كلية الهندسة, هذا الزواج الذي توّج قصة حبهما التي استمرت لمدة عامين حيث كان يكبرها بثلاثة أعوام؛ فقد كان يقطن نفس الشارع الذي تسكن به وكان يتابعها من بعيد حتي تجرأ بعد تخرجه من الجامعة بالحديث معها وحدث بينهما ودٌ لطيف ثم اتفقت الأسرتان على الخطبة وسافر بعدها ثم عاد لإتمام الزواج.

حاولت عهد البحث عن عملٍ مناسبٍ؛ لها فقد تخرجت من كلية الزراعة وتخصصت في الهندسة الوراثية هذا المجال الذي أحبته وكانت تدرسه بشغف وتود لو صارت باحثةً كبيرةً في هذا المجال, ولكن مروان زوجها كان يفضل بقاءها في المنزل لرعاية أسرتها وأبنائها, ففعلت ذلك وانشغلت بتربية أطفالهما بالإضافة لبعض العلاقات الإجتماعية مع زوجات أصدقاء مروان, إضافةً إلى جاراتها في المسكن.

ولكن كانت هؤلاء الجارات هن الأقرب إلى قلبها, وكم كانت تسعد بهذه الجلسات الصباحية اللاتي يعقدنها في منزل إحداهن كل يوم.

تأتي جمانة بعشبة "المتّة" هذا المشروب الشهير في منطقة الشام والذي يستورد خصيصاً من أمريكا اللاتينية, وتأتي فاطمة بقهوتها التركية مصطحبةً معها فناجينها الخاصة الواسعة الحلق كي تقلبها بعدما يحتسينها لتطالع النقوش التي خلفها البن على جدرانها وتنسج منها قصصا وحكايات, وهذه أروى تأتي بفطائر الزعتر الشهية التي كانت السبب في اكتسابهن المزيد من الكيلو جرامات وأما عهد فقد كانت تصنع لهن المثلجات والحلوى.

- مروان أريد العمل فقد سئمت هذه الحياة المملة, وأنا لم أعتد البقاء في البيت..

- حبيبتي, العمل في هذه البلاد مرهق جداً وأنا لا أريد لك التعب, بالإضافة لحاجة الأولاد إليك فما زالوا صغاراً وأنا لا آمن لخادمة غربية ترعاهم وتبقى معهم, كيف تفكرين أن تحرميهم من حنانك لمجرد نزولك للعمل؟

أخرجني صوتُ المضيفة وهي تدعو الركاب لربط الأحزمة للإقلاع من ذكرياتي, ونقاشنا المعتاد بخصوص ذهابي للعمل, ولكنني لم أعرها اهتماماً وهبطتْ سفينتي هذه المرة في أفق ذلك اليوم المشؤوم, حين داهمتني هذه الآلام الحادة في أحشائي

وبدأتُ الصراخ حينما تكاثرت عليّ الآلام فلم أعُد أحتملها, و قد تحلّق بي أبنائي وهم يبكون.

- نور, اذهبي واطرقي باب الخالة جمانة قولي لها أمي تريدك الآن.

هكذا صرخت عهد على ابنتها نور ذات السنوات الثمانية وقد فزعت لرؤية والدتها في هذه الحالة, هي وأخيها نادر الذي يصغرها بعامين, بينما انتابت نادين الابنة الصغرى نوبة بكاءٍ حادة فسنوات عمرها الأربعة غير كافية لفهم ما يحدث من حولها سوى أنها ترى أنين والدتها وتبكي لأجل ذلك.

طرقت نور باب جمانة وهي تبكي.

- نور لماذا تبكين حبيبتي؟ هل أنتِ بخير؟ أين والدتك؟

لم تترك جمانة فرصة لنور كي تجيب على أسئلتها فقاطعتها بنبرة غاضبة تفوق ما يُتوقع ممن في عمرها.

- ماما تتألم وتبكي بشدة, تريدك أن تأتي لها.

هرعت جمانة مع نور إلى شقة عهد فأبصرتها تتلوى كالحية التي تعتصر فريستها , في محاولة منها لاعتصار الآلام والانتصار عليها.

- هيا لا وقت لدينا سوف آخذك على المركز الطبي الذي أعمل به, لا تقلقوا يا أولاد سوف نعود سريعاً, ابقوا هنا ولا تفتحوا الباب لأحد. هكذا كانت توجيهات جمانة للجميع, ثم استندت عليها عهد وأخذتها إلى المركز الطبي.

بدايات.

طرقات سريعة متلاحقة على باب الشقة, لم يتعود والد عهد المهندس عبدالغفار رضا أن يطرق أحدٌ بابه بهذه القسوة, فهرع منزعجاً برغم ضعف حركته إلا أنه أسرع ليتخلص من هذه الضوضاء والجلبة, وما إن فتح الباب حتى أصابته الصدمة.
- عهد! كيف أتيتِ يا بنيتي ولماذا لم تتصلي بي لأرسل من يستقبلك في المطار؟ وأين أبناءكِ؟
لم تسمع عهد شيئاً من سيل الأسئلة التي أغرقها فيها والدها, فانهارت روحها وخرّ جسدها ساقطاً أرضاً..
كانت عهد الابنة الوحيدة لوالديها, فبعد أن أنجبتها والدتها الأستاذة ثريا التي كانت تعمل مدرسة بالمدرسة الإبتدائية المجاورة لمسكنهم, عانت من بعض المشكلات الصحية بالقلب التي لم تسمح لها بالحمل مرة أخرى, وسافر المهندس عبدالغفار والد عهد وصديقه جارهما المهندس أحمد إلى ليبيا أوفدتهما شركتهما إلى فرعها هناك ولكن مرض ثريا والدة عهد جعل والدها يعود مسرعاً ليرعاها ويكون إلى جوارها.
أما المهندس أحمد مراد زميله فظل في عمله خمسة عشر عاماً أمضاها هناك بينما بقيت زوجته وأبناؤه في مصر.
كان ياسين ومنى بمثابة إخوة عهد يشاركونها كل أوقاتها, وكان ياسين يكبرهما بثلاث سنوات وأما عهد ومنى فقد ولدن في نفس العام, فعاش الثلاثة كإخوة وأصدقاء.

تزوجت منى وسافرت مع زوجها الطبيب حسن إلى ألمانيا حيث سافر لدراسة الدكتوراه في مجال الطب النووي, ثم آثر البقاء بعدها والعمل هناك.
وأما ياسين فقد اختار دراسة الطب ليتخصص في مجال الجراحة؛ فقد كان حلمه منذ الصغر أن يصبح طبيباً وقد أجل موعد زواجه من زميلته ولاء التي ربطته بها قصة عشق في نهاية العام الدراسي الأخير لهما بالجامعة, ولكنه كان ينتظر وجود عهد ومنى لتكونا حاضرتين في فرحهما؛ فما كان يمكن له أن يقيمه دون وجودهما.
فتحت عهد عينيها لتجد نفسها مسجاة على سرير في غرفة المركز الطبي, ولم تجد بجوارها أحداً لتسأله عما حدث لها, ثم وجدت باب الغرفة يُفتح ويدخل منه طبيب من الجنسية الآسيوية يتحدث معها بلغة إنجليزية لكنتُها ليست كما تعودت ولكنها اعتادت عليها هنا في كل دول الخليج..
- ماذا حدث أيها الطبيب؟ ما سر هذه الآلام الحادة التي أصابتني وهذا النزف؟
فأجابها الطبيب بلهجة عربية متلعثمة:
- نزيف حاد بسبب التهاب, وقد أجرينا بعض التحاليل المخبرية وفور ظهور نتيجتها سنعلمك بالتفاصيل.
ثم تركها وخرج بوجه مقتضب يخلو من أي بادرة اطمئنان.
انتظرت عهد قليلاً ربما جاءها أحدهم لتطلب منه استدعاء جمانة..

الصدمة.

سادت حالة من التوتر والقلق حول عهد, أطباء يدخلون يطّلعون على بعض الأوراق التي وضعت على طاولةٍ صغيرةٍ عند طرف السرير, يبدو أنه الملف الطبي, لكن كيف لها الوصول إليه وهي موصولة بأنبوب التغذية الذي يصب في وريدها؟

جاء إليها طبيب مصري وهمس بالقرب منها:

- أريد الحديث معكِ للحظات.

اتسعت حدقتا عهد وقالت:

- تفضل يا دكتور.

- سيدتي للأسف كل الفحوصات أثبتت إصابتكِ بمرض الإيدز, تعرفين أن قوانين الدولة هنا لا تسمح بوجود أي شخص مصاب بهذا المرض وتضع أسماءهم على قوائم الممنوعين من دخولها مرة أخرى.

ثم استطرد قائلاً:

- كل ما أستطيع فعله لكِ هو تعطيل الإبلاغ عن حالتكِ حتى تتدبري أمرك.

خيّم الوجوم على وجه عهد, وكأن أحدهم وضع عُصابةً قاتمة على روحها فأفقدها البصر والبصيرة.

- عهد! عهد!

أفاقت عهد على نداء جمانة عليها وكانت تهزها بشدة لتفيقها من صدمتها.

- اهدئي, لكل مشكلة حل إن شاء الله.

لم تتمالك عهد نفسها فانهارت وصارت تبكي بشدة.

- جمانة أدركيني, كيف حدث ذلك؟ أنتِ تعرفينني جيداً وتعرفين أخلاقي, أنا ..

قاطعتها جمانة قائلة:

- عهد اهدئي, أنتِ متعلمة وتعرفين أن أسباب الإصابة بهذا المرض كثيرة, من قال أنك غير محترمة؟ لا أحد يجرؤ على قول ذلك غاليتي, فربما كانت الإصابة بسبب عدوى انتقلت إليك بسبب تلوث أدوات طبيب الأسنان الذي كنت تُعالجين ضرسك عنده, وربما أثناء ولادة نادين بسبب الدم الذي نقلوه إليكِ حينها.

- وكيف لي أن أثبت ذلك؟ كيف سأخبر مروان بهذا الخبر؟ ماذا سأفعل مع أولادي وكيف أحافظ عليهم من العدوى؟ صدقيني جمانة أنا لا تهمني صحتي, كل ما يهمني زوجي وأبنائي.

- اهدئي ياعهد سوف نجد الحل إن شاء الله, المهم الآن أن نطمئن على صحتك.

مرّ يومٌ كاملٌ وعهد في المركز الطبي ولم يسأل عليها زوجها مروان ؛ فقد كان مسافراً قبل تعبها بيوم لحضور اجتماع هام في المركز الإقليمي لشركته في دبي.

عادت جمانة إلى عهد وأخبرتها بأن عليهما أن تغادرا المركز الطبي قبل أن يفتضح أمرها, وبالفعل أخذتها معها وخرجتا.
كانت آثار الإنهاك والتعب مازالت واضحةً على عهد بسبب النزيف الذي أصاب جسدها, ونزيف كرامتها الذي أصاب روحها.
وما إن وصلتا إلى طابقهما في البناية أخذت جمانة عهد إلى شقتها, فتوقفت عهد وقالت لها:
- لماذا نذهب لشقتك؟ فالأولاد في شقتي وسوف يفتحون الباب لنا.
- تعالي يا عهد, أريد الحديث معكِ في أمر ما, بعيداً عن الأولاد, تعالي لندخل عندي الآن ثم تعودي بعدها لشقتك.

انكســـار.

على صوت همسات المضيفة استفاقت عهد من غفوتها المصطنعة وعادت لعالم الواقع حين سألتها المضيفة:

- لحم أم دجاج؟

تذكرت طلبات أبنائها حينما كانوا يشاركونها سفراتها, وتنشغل طوال الرحلة بإطعام هذا وملاطفة هذه حتى تخفف عنها آلام أذنيها وتمنح ابنتها الكبرى بعض النصائح لتبقى هادئة وتعينها في متابعة إخوتها الصغار.

أومأت برأسها فأعطتها المضيفة وجبتها ورحلت, فوضعتها أمامها على الطاولة المثبتة في المقعد المواجه لها وعادت لتستغرق في عالم الذكريات.

في ذهول فتحت عهد عينيها فوجدت والدها بجوار سريرها تنتفض روحه ويكاد ينخلع قلبه من صدره وهو يتابع حركة عينيها الزائغة وجارتهما السيدة ناهد تمسك بيدها وتحاول تهدئتها, وعند باب الغرفة لمحت المهندس أحمد والد ياسين جارها.

- ماذا حدث يا بنيتي؟ طمئنيني أرجوكِ..

كانت كلمات والد عهد تشق صدرها شقاً فبماذا ستخبره وكيف تقول له ما حدث؟

آثرت عهد الصمت والبقاء على هذه الحالة لعدة أيام ولم تفلح محاولات الطبيب أو محاولاتهم في خروجها عن صمتها, وزاد هزالها فقد كانت بالكاد تلتقط بعض اللقيمات من يد السيدة ناهد جارتهم فتبقيها على قيد الحياة.

وفي إحدى الليالي بينما كان والدها يجلس إلى جوارها كعادته ويفتح مصحفه ليقرأ آيات القرآن الكريم بجانبها لعل الملائكة تحيطهما وتنقل تضرعه ودعاءه إلى الله بشفائها.

انشرح صدرها وقامت وذهبت وتوضأت وعادت لتصلي, سجدت سجدةً طويلةً حتى قلق عليها والدها فلَمَسَ كتفها ليطمئن عليها فهمست بصوتٍ خفيضٍ:

- الله أكبر.

فخرج والدها وتركها بين يدي الله مطمئناً.

ظلت عهد تبكي في سجدتها الطويلة وتبث إلى الله حزنها وهذا الهم الذي لا يريد أن يعتقها, حتى شعرت بأن روحها تركتها وحلّقت في الفضاء فغمرها نورٌ كثيفٌ ثم عادت إليها من جديد فأضاءت ظلمات قلبها وروحها المنهكة.

وفي الصباح خرجت عهد لتناول الإفطار مع والدها بعد مرور أكثر من شهر كانت فيه معه جثة هامدة.

استبشر الوالد ولم يرغب في الحديث معها أو سؤالها عما حدث, منتظراً أن تبادره هي بتفسير ما حدث.

- صباح الخير حبيبتي, أراكِ اليوم تبدين كوردةٍ تفتحت للتو بعدما زارها الربيع فرحبت بقدومه.

- صباح الخير يا والدي, أعتذر عما سببته لك من قلق.

فرد عليها بابتسامةٍ هادئةٍ:

- ما رأيك أن تشاركينا أنا وعمك أحمد قهوتنا اليوم؟

- موافقة, على شرط أن أصنعها لكم بيدي.

كان هذا شرط عهد لتشارك والدها وصديق عمره احتساء القهوة, وربما كانت هذه فرصة عهد لتفتح صفحة جديدة مع الدنيا تبدؤها اليوم.

ولكن ما إن بدأت عهد ترتشف أولى قطرات قهوتها وهي تجلس على أريكة منزلهما حتى تذكرت جلسات صديقاتها الصباحية واستغرقت في أحاديثهن.

صدمات.

دخلت عهد شقة جمانة بالكاد تستطيع أن تجر ساقيها وألقتْ بجسدها الهزيل على أول مقعدٍ صادفها في الصالة, تنتظر حديثَ جمانة وإن كانت لا ترى له سبباً الآن فكل ما تنشده أن تطمئن على فلذات كبدها وتستسلم للاسترخاء على سريرها بعد كل ما مرت به من فجيعة وألم.

- ها! تحدثي يا جمانة فأنا لا أطيق البقاء بعيداً عن أبنائي أكثر من ذلك.

- عهد, لقد عاد مروان من دبي, وترك لكِ هذه الرسالة.

فسألتها عهد متعجبة:

- هل عاد مروان؟ وأين ذهب ثانية؟ وكيف لم يكلمني أو يأتِ إلي؟

- اهدئي يا عهد, واقرئي الرسالة وسوف تفهمين كل شيء.

- أرني إياها يا جمانة.

هكذا توترت عهد وجذبت الرسالة من يد جمانة لتقرأها بسرعة, وما إن بدأت في قراءتها حتى أصابها الوجوم وتحجرت الدموع في عينيها تأبى الخروج أو الانصراف لتعود من حيث أتت.

ساد الصمت لفترة لا تدري كم مر من الوقت, حتى رجمته جمانة بحجر وقالت لعهد:

- ترك مروان الشقة بعدما باع محتوياتها وترك لكِ جواز سفرك وتذكرة الطائرة فقد حجز لكِ لتسافري الليلة.

- ماذا الليلة؟ وأولادي أين هم؟

صرخت عهد وأكملت كلامها:

- كيف ذلك؟ كيف استطاع أن يحرمني من أبنائي بهذا الدم البارد والقلب الصلد؟

لماذا لم يمنحني حتى فرصة وداعهم؟ هل يخاف عليهم مني؟ أنا أمهم ولن يخاف عليهم أحد أكثر مني..

وانهارت عهد ودخلت في نوبة بكاء شديدة أفقدتها الوعي.

جُمـــــــانة.

كانت جمانة الصديقة الأقرب إلى قلب وروح عهد, فكانت كلتاهما لا تخفي عن الأخرى سراً, وقد قصّتْ عليها قصتها التي لم يعرفها أحدٌ غير عهد؛ فقد تزوجت جمانة من زوجها زواج"خطيفة" كما يطلقون عليه في بلادهم؛ فقد كانت جمانة من أصل لبناني من طائفة الموحدين الذين لا يتزوجون من خارج طائفتهم, وأما زوجها فكان سورياً من منطقة الشام سنيً المذهب مما كان يستحيل معه زواجهما.

- انفصلت والدتي بعد الكثير من المشكلات التي حدثت فيما بينها وبين والدي ولأنه في مذهبنا لا يجوز الجمع بين زوجتين فقد طلقها والدي, ثم تزوج بغيرها و تزوجت بغيره وجاءت مع زوجها إلى هنا وكان والدي يسمح لي بزيارتها كل عام, ولكن بعدما كبرتُ وانتهيتُ من دراستي الثانوية قررت أن أبقى معها وأعمل هنا, وعملت في المركز الطبي الذي ما زلتُ أعمل به حتى الآن كموظفة استقبال.

كانت هذه كلمات جمانة وهي تسرد قصتها لأول مرةٍ لعهد بعد فترةٍ من صداقتهما كانت كافيةً لأن تمنحها ثقتها.

- ولكن كيف تعرفتِ على زوجك أكرم؟

بادرتها عهد بالسؤال فأجابتها:

- كان يعمل مندوباً لتخليص المُعاملات في إحدى الشركات وكان يتردد على المركز الطبي ليحجز مواعيد لابنة مديره التي كانت

تتلقى جلساتٍ علاجيةٍ في المركز, وتعارفنا ثم صارحني برغبته في الزواج مني, وحتى هذه اللحظة لم يكن يعرف شيئاً عن طائفتي.

- ومتى أخبرتيه جمانة؟

كانت الدهشة والرغبة في معرفة المزيد من التفاصيل تثيران شهية عهد للاستماع ورغبة جمانة في البوح والإفصاح عما كتمته لسنوات في داخلها تتأجج.

- حين طلب مني الزواج أخبرته, في البداية غضبَ وثارَ وقال لي: لماذا لم تخبريني من قبل؟ فقلت له أنني لم أكن أتوقع اختلافنا ولم تأتِ فرصةً للحديث عن ذلك.

غاب أكرم لعدة أيام ثم عاد وأخبر جمانة أنه سيتزوجها مهما كانت المعوقات.

ولكن على الطرف الآخر رفض كل أهل جمانة, سواء والدتها وزوجها هنا, أو والدها وبقية العائلة والطائفة هناك.

ولكنهما تحديا الجميع وتزوجا في المحكمة في الكويت ولم تجرؤ جمانة على زيارة أهلها منذها أبداً؛ فقد أحلت الطائفة دمها, وإذا ما صادفها أحد أهلها فلن يتوانى عن قتلها أبدا.

- وماذا بشأن أكرم؟

ردت جمانة على تساؤل عهد وقتها بأن أكرم يحاول التقرب إلى أهله خاصةً بعد قيام الثورة السورية ونزوح الكثير من أفراد أسرته إلى مناطق متفرقة بعد قصف قريتهم والقرى المجاورة وانتقال معظمهم إلى تركيا.

كانت حياة جمانة مع أكرم مستقرة وهادئة لا ينغصها سوى حرمانهم من الأطفال وعدم قدرة جمانة على الحمل, ومحاولاتها المستمرة للإنجاب التي كانت تبوء جميعها بالفشل.

وكان رد أكرم في كل مرة:

- حبيبتي جمانة أنت كل أسرتي, أنتِ حبيبتي وطفلتي وأمي وأغلى ما لدي في هذه الدنيا, لا تهتمي بأمر الأطفال فأنا لا أهتم بذلك, وكل ما يهمني سعادتنا معاً.

- ولكن يا أكرم, كنت أود أن يكون لي أطفال منك يحملون اسمك, أرى فيهم تمازج وجهي ووجهك, روحي وروحك.

فما كان من أكرم سوى أنه يأخذها إلى سهرة أو يغدقها بشراء الهدايا التي تفوق قدراته المادية لتنسى التفكير في هذا الأمر.

ولكن بعد فترة استغنت عنه شركته التي يعمل بها مع عدد كبير من الموظفين لاستبدالهم بموظفين آخرين من أهل البلد في إطار خطة شاملة لإحلال المواطنين في أماكن العمل.

ولم يجد أكرم فرصة للعمل لفترة من الوقت حتى استطاع أن يجد عملاً كسائق شاحنة تنقل البضائع من وإلى تركيا عبر سوريا وفي ظل الفترة الحرجة التي تمر بها سوريا فهو الأقدر على المرور في هذه المناطق لدرايته بشعابها وكيفية اجتياز الطرقات بأمان.

وأصبح يغيب عن جمانة بالأيام والأسابيع في رحلاته هذه ونجح في التواصل مع مَن تبقى من عائلته ولقائهم في تركيا.

فاجعة.

اتصل ياسين بوالده فوجده بصحبة عهد ووالدها يحتسيان القهوة, فلم يصدق عودتها المفاجئة وحادَثَها مواعداً إيّاها بأنه سيأتي في أقرب فرصة لزيارتها, فقد كان يعمل في مستشفى الغردقة ولذلك اضطر للحياة هناك هو وأسرته ونقلت زوجته ولاء عملها لتكون معه في نفس المشفى على الرغم من إحساسه بالقلق على والده لتركه بمفرده في مدينة الإسماعيلية مسقط رأسه.

سعدت عهد بهذه المكالمة, وقررت أن تكون جلسات القهوة القادمة في شرفة الصالة الكبيرة حيث وضع بها والدها بعض الأصص التي تحتضن نبات الريحان والنعناع وشجيرة صغيرة من الورد الجوري.

كان على عهد أن تتذكر حاجتها للشمس بعد انقطاعها عن العلاج بحقن فيتامين د والكالسيوم بسبب إصابتها كمعظم سكان الخليج بمرض هشاشة العظام لقلة التعرض للشمس هناك فمن ذا الذي يجرؤ على لقائها فيحترق؟

- ولكن شمس مصر كفيلة بأن تمدك بما يلزمك من فيتامينات حبيبتي وابنة الغالية.

كانت هذه الكلمات الحانية للسيدة ناهد جارتهم وهي تهدي عهد صحن "مهلبية البرتقال" التي كانت وما زالت تعشقها حتى الآن.
- شكراً خالتي..
همست عهد إلى السيدة ناهد تشكرها, فقالت لها:
- بل قولي ماما ناهد؛ فأنا من الآن ماما ناهد وأنتِ ابنتي وأخت علياء.
أنجبت السيدة ناهد توأمين: علي وعلياء, كانا مثالاً للأدب والذكاء وكان الجميع يحبهما, ليس في البناية فقط بل في كل الحي, ثم توفي زوج السيدة ناهد في حادث وهما في عمر الخامسة, وأفنت حياتها لتربيتهما وحينما كانا في الثانوية العامة توقع الجميع لهما التفوق وتحقيق مراكز متقدمة على مستوى الجمهورية, ولكن في إحدى المراكز المتخصصة للدروس الخصوصية التي انتشرت بعدما غاب الطلبة والمدرسون عن المدارس وتخلت المدارس عن دورها في تربية الأولاد وصارت مجرد قاعات لدخول الإمتحانات فقط.
في أحد هذه المراكز كان يذهب علي لحضور حصص الرياضيات, وكان هناك شاب مستهتر ابن أحد أثرياء المحافظة فشل أن يجتاز امتحان الثانوية العامة ثلاث مرات متتالية وهذا العام آخر فرصة له؛ فنصحه بعض الأولاد أن يتفق مع علي أن يساعده في الامتحان عن طريق الغش, ولكن علي رفض بشدة.
- كيف تطلب مني ذلك؟ من المستحيل أن أساعد على الغش.

- اسمع كلامي وسوف أجعل والدي يمنحك ما تريد.
فغضب علي ورفض كل عروض هذا الولد الذي كان يُدْعى علي أيضاً ولكن شتّان بينهما.
- سوف تندم.
صاح علي "الشقي" على علي "الملتزم" مهدداً إياه لرفض مساعدته, وعند خروجهما من الدرس افتعل هو وأصدقاؤه مشاجرةً عاثوا فيها فساداً وإفساداً لما حولهم واشتبك فيها عدد كبير من الأولاد ثم سدّد هذا الشقي طعنة نفذت في صدر ابني عليّ فاخترقته واستقرت في قلبه فأردته قتيلاً.
- اسودت الدنيا في عينيّ يا بنيتي بعدما كنت أنتظر نجاح علي صرت أبكيه بعد فقده كما فقدتُ أباه من قبل, وضاع دم علي ابني وتفرق بين هؤلاء الشباب المستهترين فقد رشاهم والد القاتل ولم يعترف منهم أحد عليه.
ولكن دعوة المظلوم لا تُرد ولن أسامح أبداً من قتل ابني ومن تستر عليه, وقتل نقلتُ مظلمتي وشكواي إلى الله وهو القادر على كل ظالم متجبر.
هكذا أكملت السيدة ناهد حديثها لعهد بعدما اجهش صوتها بالبكاء وتعلقت الكلمات بحلقها وتوقفت, فسألتها عهد:
- وماذا حدث لعلياء؟ لابد أنها تأثرت جداً..
- نعم يا بنيتي بالفعل, لقد أصيبت بانهيار عصبي ولم تتمكن من دخول الإمتحان في ذلك العام وبعد رحلة مع العلاج النفسي لعدة

شهور تماسكت وعادت للحياة وبعد اجتيازها لامتحان الثانوية العامة قررت الالتحاق بكلية الطب في جامعة عين شمس, حتى تبتعد تماماً عن كل هذه الذكريات وهي تأتي فقط لزيارتي في نهاية كل أسبوع.

- لماذا لم تذهبي معها يا أمي إلى القاهرة؟

- يا ابنتي أنا لا أستطيع أن أهرب من ذكرياتي, ولاأقدر على فراق أحبتي هنا؛ فأنا أزور قبرهم في كل أسبوع لا يقطعني عن ذلك سوى مرض شديد أو سوء أحوال الجو, وقد أرسلكِ الله لي لتؤنسيني وتذكريني بوالدتك رحمها الله حبيبتي الغالية.

كانت عهد تهرب من التفكير في أبنائها فقد كان قلبها يعتصر ألماً كلما هاجت مشاعرها واضطربت تبحث عن ضجيجهم في الأرجاء, فأصبح هذا السكون يقتلها في الثانية آلاف المرات.

حينها قررت أن تشغل كل وقتها فلا تجد لنفسها ثانية للتفكير في أمرهم.

مفاجـــــأة.

أحست عهد بخدرٍ في ساقيها بسبب طول مدة الرحلة فأرادت النهوض لتعيد الحياة لساقيها وتكسر جمود دورتها الدموية ببضع خطواتٍ تسلك بها ممر الطائرة, ولكن الراكب الجالس بجانبها كان يضع واقي العيون للنوم فلم تعرف كيف توقظه ولكنها حين نظرت إلى وجهه أخذتها الدهشة والتعجب..

- ياسين؟ كيف أتيت؟ ومتى؟

فرفع ياسين غطاءَ العيون وابتسم..

- وهل كنتِ تعتقدين أنني سأتركِ تذهبين لهذه الرحلة بمفردك؟

ثم مدّ ياسين يده فتخللت أصابعه أنامل عهد واحتضنتها بحنان وعطف كانت عهد بحاجة لهما حتى وإن لم تصرح بذلك من قبل؛ فقد كانت تتمنى في قرارة نفسها أن يصاحبها ياسين في هذه الرحلة الطويلة ولكنها على الرغم من ذلك رفضت طلبه.

- كيف تأتي معي؟ وأين ستترك ندى؟

فرد ياسين مجيباً:

- لا تشغلي بالك بندى أنا والدها وأعرف الأنسب لها وأعرف من سيتولى أمرها, أما أنتِ فلا أعرف من سيتولى أمركِ في الغُربة, ولن أتركِ تسافرين وحدكِ أبداً.

- من سيتولى أمري؟ وهل تظن أنك تتحدث عن ندى؟ أنا أعرف كيف أتولى أمر نفسي.

ابتسم ياسين ورد عليها:

- لم تتغيري أبداً يا عهد نفس العناد وكأنني أتحدث مع عهد ذات الخمسة عشر ربيعا. انفرجت أسارير عهد وهي تنظر لياسين بجوارها في الطائرة وراحت تبتسم.

حنيـــــــن.

أرخت عهد جفنيها بعدما أحست بالأمان الذي افتقدته منذ فترة طويلة حين تركت أناملها ترتاح بين أصابع ياسين في الطائرة وقفز في رأسها حوارٌ تكرر كثيراً بينها وبين مروان.
- هجرة؟ لماذا تريد الهجرة وأنت تعمل هنا في شركة كبيرة وعملك مستقر؟
فيرد عليها مروان بحدة:
- وهل تضمني لي البقاء في هذا العمل؟ ألم تشاهدي زوج جمانة وكيف استغنوا عنه هو والكثير من زملائه؟
- ولكنك مهندس وتخصصك مطلوب في بلاد تطفو فوق بحيرة من النفط, أما هو فلم يكمل دراسته الجامعية, فلا يمكن المقارنة بينكما.
- غير صحيح عزيزتي, فمخزون النفط محدود وسوف ينتهي, والعالم أيضاً أصبح يتجه لمصادر الطاقة البديلة التي لا تسبب تلوثاً للبيئة, وبذلك لن يعد العالم بحاجة للبترول ولن تعود هذه البلاد بحاجة إلينا, أضيفي إلى ذلك أن أبناءهم أصبحوا يتعلمون في كبرى الجامعات العالمية ويعودون ليعملوا في بلادهم.
فردت عهد عليه بسرعة:
- إذن نعود إلى مصر, كان اتفاقنا منذ بداية زواجنا أن فترة وجودنا هنا مؤقتة.
وأكملت حديثها:

- أنا لا أطيق الغربة, أشعر أنها تأكل أيامي وسنواتي كما تسري النار في الهشيم, كلما عُدت إلى مصر أجد كل شيء تغير.. الناس والأماكن, ألا تشعر بالحنين؟

فيرد عليها مروان ضاحكاً:

- عن أي حنين تتكلمين؟ الحنين للضوضاء أم الدخان؟ الزحام ووسائل المواصلات المتكدسة, أم الشوارع المزدحمة؟ أم هؤلاء البشر الذين أصبحوا آلات متحركة تطحن كل ما تمر به وتدوس عليه.

- ونسيتَ جمال وهدوء مدينتنا الإسماعيلية ونظافة شوارعها التي تسيجت بالأشجار؟ نسيتَ طيبة الأهل ودفء البيوت وقرب الجيران؟

- كانت حبيبتي, كانت قديماً وليس الآن, ولكن هل تتصورين أننا سنعيش في الإسماعيلية إذا عدنا؟ وماذا سنعمل في هذه المدينة الصغيرة؟ هل سأفتح سوبرماركت؟؟ أم محل إلكترونيات؟

ثم ينتهي كل حوار كالعادة بنفس الجملة: الحل الوحيد هو الهجرة.

راحةٌ لجميع الأطراف.

زادت جلسات السيدة ناهد مع عهد واستطاعت أن تخرجها من شقتها بعد فترة قضتها في كهف آلامها يحتجزها الحزن ليتناوبا عليها هو والهم؛ فكانتا تذهبان معاً لزيارة جاراتهما السيدة تريز في الطابق الثاني من البناية فابنها إدوارد يعيش في كندا منذ أنهى دراسته في كلية الحقوق, وقد تزوج من فتاة كندية واستقر هناك ولكنه كل فترة يتصل بوالدته ليطمئن عليها أو يحادثها عبر هاتف أخته ماري حين تأتي من القاهرة لزيارتها كل شهر عبر

أحد برامج التواصل الاجتماعي, فالسيدة تريز لم تحب أن تتعلم كيف تتعامل مع هذه الأجهزة الحديثة وعلاقتها بالهواتف المحمولة تقتصرعلى الرد على مكالمة هاتفية أو الاتصال بابنتها ماري.
تطوعت عهد بأن تقوم بدور ماري وتصل السيدة تريز بابنها إدوارد مرة كل أسبوع كما حدد معهم الموعد في يوم إجازته من عمله, وكان سعيداً جداً وممتناً لعهد هو ووالدته.
استطاعت عهد في فترة قصيرة أن تتواصل مع كل سكان البناية وتحاول تقديم المساعدة لهم بقدر ما تستطيع خاصةً أن معظم سكانها من كبار السن فقد ترك الأبناء هذه المدينة الهادئة ورحلوا إلى صخب العاصمة ليتوهوا في زحامها بحثاً عن فرص عمل أوفر.
كانت السيدة إحسان تعيش هي وابنها المتزوج حديثاً في نفس الشقة, فلم يستطع شراء شقة للزواج فيها لارتفاع تكاليف الزواج فكما زادت أسعار الذهب زادت كل الأسعار ولم تجرؤ إحداهن على الإفصاح لأسرتها وذويها بأنها لا تريد كل هذه التكاليف؛ فالجميع ينصحون أي عروس مقبلة على الزواج بطلب أشياء كثيرة من شبكة غالية وأثاث فاخر لتكون لها حصناً من غدر الزوج والزمن.
لم تكن السيدة إحسان تشعر بالراحة لوجود امرأة أخرى تزاحمها في إدارة مملكتها وكان أسوأ أيامها يوم الجمعة حين تأتي بناتها لزيارتها وقضاء اليوم معها فقد فرضت الزوجة "لبنى" الكثير من المحظورات على الأطفال للحفاظ على أثاثها الجديد بعدما أوثقت أثاث الأم في غرفة لتعرض أثاثها في صدر الشقة.

وأما سمير ابن السيدة إحسان فقد وجد فرصة عمل في شركة استثمار عقاري تقوم بإنشاء التجمعات السكنية ويقيم بموقع العمل الجديد في منطقة صحراوية ويعود في نهاية كل أسبوع أو أسبوعين.

- اضطر إلى ذلك ليتمكن من سداد أقساط الأثاث التي لم تنته بعد, وتذهب زوجته بعد سفره للبقاء مع أسرتها وتتركني بمفردي حتى اليوم السابق لقدومه تعود إلى هنا.

كان هذا حديث السيدة إحسان التي تنتهز فرصة زيارة السيدة ناهد وعهد لها لتتحدث مع أحد بعدما خلا البيت عليها, حتى بناتها صرن يزرنها بمفردهن أثناء عودتهن من العمل كي لا يلتقين بزوجة أخيهن في يوم الجمعة.

وأما زوجها الأستاذ عبدالمجيد بركة فقد انفصل عنها منذ عشرين عاماً وتركها هي وأولادهما وسافر إلى الدنمارك, كان يعمل مهندساً زراعياً يدير إحدى مزارع أحد رجال الأعمال الكبار في تلك الفترة, ولكن في إحدى زيارات الخبير الدنماركي للمزرعة تعرف عليه عبد المجيد وظل على تواصل معه بعد عودته إلى الدنمارك حتى أخبره أنه وجد له فرصة عمل هناك, فسافر وترك أسرته بعدما رفضت زوجته السفر والغربة.

ارتاح الجميع لوجود عهد واقترابها من جميع سكان البناية " بناية العجائز" كما كانوا يطلقون على أنفسهم, فما عاد يشعر الأبناء بتأنيب الضمير عند تقصيرهم في السؤال عن الأهل, وكان الجميع يدعون لعهد لحلها هذه الأزمة.

واستطاع سمير الإفصاح لوالدته بأنه اشترى شقة صغيرة في إحدى المدن الجديدة على طريق القاهرة- الإسماعيلية

الصحراوي, ويسدد أقساطها على عشرين سنة, فأخذ لبنى زوجته التي أفرجت عن أثاث السيدة إحسان بعدما أخذت أثاثها الثمين لشقتهما الجديدة على أن يزورا الوالدة في نهاية كل أسبوع ولكن تعددت الأعذار فيما بعد فصارت زيارة كل شهر.

- كم نحن ممتنون لكِ يا عهد على ماقدمتيه لنا من معروف فلقد أصبحت فرداً من الأسرة وصرنا نطمئن على والدتنا وأنت بجوارها.

كانت هذه كلمات سلوى ابنة السيدة إحسان الكبرى التي تعمل مدرسةً في مدرسة بعيدة عن سكن والدتها, وكانت تصاب بالتشتت خاصةً في أوقات الامتحانات وانشغالها بتصحيح أوراق الطلاب بالإضافة إلى متابعتها لمذاكرة أبنائها, فلا تجد الوقت الكافي للسؤال عن والدتها وزيارتها.

أمــل.

وأما الطابق الأول فقد كانت تسكنه أسرة الحاج محمود هذا التاجر الطيب الذي اعتاد على فتح بابه لكل محتاج, يساعد هذا ويوفر راتباً شهرياً لهذه الأسرة وكل أعمال الخير التي يقدمها كانت معروفة في كل أنحاء هذه المدينة الهادئة, فبعد حادثٍ أليم أصابه هو وزوجته الحاجة أمينة أقعده عن الحركة وحرمه من القدرة على الإنجاب لم تتخل عنه زوجته بالرغم من أنهما كانا في بداية زواجهما وظلت بجانبه حتى استطاع الحركة من جديد بعدما اصيب بالشلل فأصبح يستخدم كرسياً متحركاً وتذهب معه إلى "السوبر ماركت" الذي كان يمتلكه وتبقى معه حتى نهاية اليوم فيعودان معاً.

ولكن بعد كبر سنهما ترك إدارة المحل لابن أخيه عمر الذي يوليه ثقته؛ فقد رباه منذ صغره واحتضنه وعلمه كل أسرار التجارة ليعتمد عليه في كبره, وبالنهاية فهذا الابن هو الوريث الوحيد له.

انغمست عهد في حكايات البناية وتفاصيلها وأوصدت قلبها على حكايتها فلم تجرؤ على البوح بها لأي أحد مهما كانت ثقتها به, وكل ما كان يعرفه الجميع عنها أن زوجها أخذ أبناءهم بعدما

أرادت العودة لمصر والبقاء بجوار والدها بعد مرضه الأخير, وقد أرسل لها بالفعل ورقة طلاقها بعد وصولها بأسبوع وكان تاريخها في نفس اليوم الذي دخلت به المركز الطبي وهذا ما كان يثير دهشتها فكيف عرف بإصابتها بهذا المرض قبل أن يكتشف الأطباء ذلك؟

هذا المرض اللعين الذي أصابها دون ذنب اقترفته, حتى برغم كلمات الطبيب المصري لها في ذلك المركز الطبي:

- لا تخافي مدام عهد, فكل الأمور تحت السيطرة, هذا الفيروس في حالة خمول فاصابتك جديدة, ويمكنه أن يبقى خاملاً طول العمر ما دامت مناعتك قوية وتهتمين بصحتك وحالتك النفسية.

- ولكن يا دكتور أعرف أن هذا المرض خطير ويدمر مناعة الجسم ويهلكه.

فرد مطمئناً إياها:

- لا تقلقي استطعتُ منحك بعض العلاجات المقوية للمناعة والمنشطة للجسم مع المغذيات التي حقناها بالوريد, لا تخافي وعيشي حياتك بشكل طبيعي, نسبة الإصابة عندك بسيطة جداً ولكن تعرفين أننا هنا نستخدم أجهزة حديثة ومتطورة تستطيع التقاط أثر الفيروسات ولو كانت بأعداد طفيفة جداً.

كانت عهد تحاول الحفاظ على حياتها حتى تتجاوز هذه الأزمة فقط ليمتد عمرها فترى أبناءها ثانية, كل أنفاسها التي كانت تلتقطها كانت في سبيل الحياة لتلقاهم قريباً, كل ثانية كانت

تعيشها لا تخلو من الدعوات وأمل اللقاء بهم مجدداً, وكانت ثقتها في الله هي الدافع الأكبر لها في الحياة فهي تعلم أنه يعلم بحالها والظلم الذي وقع عليها وهو أرحم بها من كل البشر, فلماذا تشكو إليهم ولن يفيدها منهم أحد؟

خلافات, واختلافات.

كان أول عيد تقضيه عهد بعيداً عن أبنائها, وكانت تتمزق أوصالها وهي تتذكرهم طوال شهر رمضان عند كل إفطار وصراعاتها معهم طوال اليوم لكي يأكلوا أثناء صيام الكبار, وعناد طفلتها الصغيرة نادين ذات السنوات الأربع وكلماتها الرقيقة الحانية:

- لن آكل حتى تأكلي معي, فكيف أتركِ جائعة يا أمي وآكل وحدي؟

- حبيبتي أنا صائمة.

- وأنا أيضاً صائمة يا أمي, هل تريدين دخول الجنة بدوني؟

تتلوى عهد على سريرٍ من جمر وتتهرب من الاستيقاظ باكراً حتى لا تسمع تكبيرات العيد وتسمع صوت ابنها نادر(ابنها الأوسط) يرددها مع المكبرين.

ولكن ما إن عاد والد عهد من المسجد حتى هرع إليها ليبلغها بالخبر:

- لقد هاجم المجرمون كميناً جديداً في سيناء وهو يصلون صلاة العيد.

- ماذا يا والدي؟
صرخت عهد مستنكرة وغير مصدقة لما تسمع.
وانطلقا يفتحان جهاز التلفاز ليتابعا ما حدث, ولكن كان الخبر حقيقياً للأسف, واستشهد الجنود الشباب فداءًا للوطن.
تذكرت عهد حينها دعوات أروى صديقتها الفلسطينية الأصل على كل الدول العربية التي تخلت عن فلسطين وتركتها من وجهة نظرها, وكيف كانت عهد تتضايق من ذلك وترد على أروى قائلةً:
- كيف تدعين على الدول العربية؟ وهي التي ساعدتكم وحمتكم لمواجهة الاحتلال الصهيوني, أليست هذه الدول التي دعمت منظمة السلطة الفلسطينية وقدمت لها الكثير من التبرعات؟ ولولا هذه الدول ما استطاع الفلسطينيون الباقون على أرض فلسطين بالصمود والمقاومة حتى الآن, أما من تركها وفرّ فلا يحق له هذا الحديث ولا يحق له ادعاء شرف المقاومة.
فردت عليها أروى:
- وماذا تعرفين أنت يا عهد عن معاناة الفلسطينيين ؟
- بل أخبريني أنتِ يا أروى ماذا تعرفين عن فلسطين؟ وأنتِ مولودة هنا في الخليج ووالدك ووالدتك يحملون وثيقة أردنية وزوجك يحمل جوازاً مصرياً, وغيركم الآلاف الذين فروا إلى أوروبا وأمريكا وتركوها.
أليس كذلك يا جمانة؟

فردت جمانة:

- للأسف كلامك صحيح يا عهد, حتى أهلنا في لبنان فرّ الكثير منهم وقت الحرب الأهلية إلى دول أمريكا اللاتينية وتوجد هناك جاليات كبرى في هذه الدول, حتى أهلي انتقلوا إلى جنوب سوريا واستقروا هناك.

فاستطردت عهد مكملة حديثها:

- ماذا ننتظر لبلادنا إذا تركناها جميعاً؟ وأي دولة هذه التي تبقى صامدة دون أهلها؟ ألا ترون ما يحدث في دول الخليج وصرخات أهلها الآن بعدما فتحوا أبوابها للعمل في الستينات والسبعينات فور اكتشاف النفط, فقد تعالوا على الكثير من الوظائف والمهن المرهقة وأنِفوا العمل بها, وبعد أن أصبح عدد المقيمين من الجنسيات الأخرى يفوق عدد المواطنين خافوا على بلدانهم, وبدؤوا في التخلي عن الكثير من الموظفين المقيمين واحلال المواطنين بدلاً منهم ليعيدوا التوازن السكاني في بلادهم.

لم تكن عهد الوحيدة الحزينة المهمومة في هذا العيد بل شاطرها الحزن مئة مليون مصري.

نظرةٌ أخرى.

حرّك ياسين أصابعه ليستكشف ما إذا كانت عهد مستيقظة أم أنها غابت في غفوة, فابتسمت ليدرك أنها غابت مع ذكرياتها فدعاها لترتشف معه قطرات القهوة التي اختارها مشروباً لهما حين مرّت المضيفة تستعرض المشروبات المتاحة.

- كيف حال أميرتي؟

همس ياسين في أذن عهد؛ فابتسمت وفتحت عينيها لتلتقي عيناهما عن قرب..

فعلى الرغم من معرفتهما الطويلة إلا أنهما للمرة الأولى يجلسان بهذا القرب, وتقترب أعينهما فتتقلص مسافات البُعد وتُسقطُ ذاكرتهما الفترةَ الماضية فيعودان كما كانا قبل حوالي خمس عشرة سنة مضت.

- نعم, أحببتكِ وكاد قلبي أن ينخلع من موضعه وأنا أراكِ تبتعدين عني وتتلهفين لرؤية مروان.

- أنا!!

تساءلت عهد والدهشة تعلو وجهها, فهي لم تسمع هذا الحديث من قبل ولم تكن تعرفه.

- لقد وجدتكَ تحدثني عن ولاء زميلتك ففهمت أننا إخوة وأصدقاء فقط, ولم تَشر لي في أي حديث بيننا عن مشاعرك.
- منذ كنتِ في المرحلة الثانوية ومروان يحدثني عنكِ, وكان يأتي لزيارتي خصيصاً ربما لمحك على السلم.
واستطرد ياسين مكملاً حديثه:
- لم أستطع حينها أن أبوح له بمشاعري تجاهكِ, وتركت لكِ حريّة الاختيار, ففضلتِهِ وارتبطتِ به.
- لكنكَ لم تبح لي بمشاعرك فكيف كنت سأعرف ذلك؟
- نعم يا عهد, لم أبح بشيء فقد كنت أخاف ألا تكون مشاعرنا متبادلة فأفقدكِ للأبد.
عادت عهد لشرودها وتذكرت أول مرة قابلت فيها مروان أمام شقتهم, كانت عائدة من كليتها وكان هو للتو خارجاً من شقة ياسين المقابلة لشقة أسرتها, فابتسم لها مروان وألقى عليها التحية فابتسمت وردت وقد توردت وجنتاها خجلاً ولم تعرف وقتها ما السبب.
ثم تقابلا في اليوم الثاني في كليتها وكأن اللقاء كان صدفة ولكن مروان بعد ارتباطهما أخبرها أنها لم تكن صدفة وأنه كان يتردد على كليتها ليحاول التقرب منها بأي وسيلة.
تنهدت عهد تنهيدة طويلة, يمتزج فيها الشجن بالندم..

عـــــهد.

دخلت عهد على والدها شرفة الصالة لتجده ممسكاً بكتاب وبينما يبدو عليه الانهماك في قراءته, تلتقط آذانه بلهفة نغمات العود الشجية المصاحبة لصوت المطرب فريد الأطرش ينشد كلمات بشارة خوري:

"أضنيتني بالهجر ما أظلمك... ارحم عسى الرحمن أن يرحمك
مولاي حكمتك في مهجتي... فارفق بها يفديك من حكّـــمك"

- ما أجمل هذه الأغنية يا والدي! وما أجمل صوت فريد!

- نعم يا بنيتي فقد لُقب شاعرها بالأخطل الصغير لبراعته في نظم الشعر وهو الوحيد مع عباس العقاد اللذان لقبا بلقب أمير الشعراء بعد أحمد شوقي.

ثم سألت عهد والدها:

- أراك منهمكاً في القراءة.

- نعم يا عهد, اعتدت الجلوس منذ زمن في هذا المكان والقراءة خاصةً بعد سفرك مع مروان, فلم يكن هناك أفضل من الكتاب صديقاً وعمك أحمد.

ثم ابتسم, فسألته عهد:

- أين هو لم أره اليوم؟

- إنه غاضبٌ مني, تعرفين عمك أحمد يا عهد يغضب بسرعة لكن قلبه طيب, ساعةً واحدةً وسوف يطرق الباب.

- هل تعرف يا والدي الكثير يتعجبون من اسمي ويسألونني دائماً عن السبب.

ضحك المهندس عبد الغفار والد عهد واعتدل في جلسته وبدأ يحكي لها سبب هذا الاسم:

- أرسلتنا شركة البترول أنا وعمك أحمد إلى ليبيا, وكان ذلك بعد زواجي بوالدتك ثريا بشهرين فقط, وكانت وقتها قد حملت ونظراً لظروف عملنا في الصحراء فلم يكن من السهل اصطحاب أسرنا معنا, وبعد عدة شهور مرضت والدتك ولم يكتمل لها الحمل.

- نعم, حكت لي أمي رحمها الله عن هذا الحمل السابق.

- وبعد معرفتي بمرضها وما حدث عدت من السفر لأراها ولكن حالتها كانت سيئة فعاهدتها أنني لن أتركها ثانية, وبقيت هنا وطلبت من الشركة أن أبقى في مصر ويرسلوا زميلاً آخر.

- وهل وافقت الشركة يا والدي؟

- يا بنيتي لا يهم من الذي يذهب, المهم أن يكون أهلاً لهذا العمل, وقد كان زميلي المهندس حسام جديراً بذلك.

- ولكن ماذا عن اسمي؟

فرد الوالد مبتسما:

- حين ولدتك أمك خافت أن أسافر بعد الاطمئنان على حالتها الصحية وظنت أنني كنت فقط أنتظرها حتى تُكمل حملها هذه المرة, فأخبرتها أنني عاهدتها على البقاء ولإثبات وفائي بوعدي لها سوف أطلق عليكِ اسم عهد لتُذكريني دائما بعهدي لوالدتك, فلقد عرفتُ من الأطباء أن قلب والدتكِ ضعيف ولن يتحمل مشقة حملٍ لآخر, فلم أتركها بعدها أبداً.

- الله.. ما أجملكما يا أبي! وما أجمل عهودكما!

- بل ما أجملكِ يا عهد وما أجمل رقتكِ وطيبة قلبكِ.

انتبها لطرقات خفيفة على الباب فنظرا لبعضهما وابتسما وقال لها والدها:

- افتحي الباب لعمك أحمد يا عهد

انطلاق.

أتذكرُ جيداً ذلك اليوم الذي أخذني فيه والدي من يدي وصعدنا إلى سطح البناية, فبعد قراءته للجريدة التي اعتاد عليها منذ زمن طويل التي إذا مرّ يوم دون أن تترك آثار أحبارها على أطراف أصابعه أحس بالوحشة وفراق شيء غالٍ عليه.

- لماذا أتينا إلى هنا يا والدي؟

سألتُهُ فأجاب:

- انظري يا عهد لقد طلبت من سيد حارس البناية أن ينظف السطح بالأمس وقد فعل.

- لماذا يا والدي؟

- لقد قرأت في الجريدة تحقيقاً صحفياً عن الزراعة فوق أسطح البنايات وأود أن تنفذيه بنفسك يا مهندستي الغالية.

- أنا!

قلتُها باستغراب..

- نعم أنتِ هل نسيتي أنك مهندسة زراعية؟

- لا يا والدي لم أنسَ لكنني لم أجرب ذلك من قبل.

فأجابني والدي وكأنه قد جهز الردود مسبقاً لكل أسئلتي الممكنة؟

- يا بنيتي كتبك الجامعية ما زالت موجودة, والآن تستطيعين من خلال الشبكة العنكبوتية معرفة أي معلومة تريدينها.
- فلتبدئي وسوف نساعدكِ جميعنا في بناية العجائز.
وابتسم.
بالفعل بدأتُ التحضير بقراءة كل المعلومات المتعلقة بالموضوع, وقمتُ بزيارة المشاتل لأرى النباتات ذات الجذور السطحية التي يمكن زراعتها على الأسطح دون أن تحتاج لمسافات كبيرة في التربة, ومواعيد زراعتها ونقلها والفصول المناسبة لكل نوع.
وقد ساعدني والدي وعمي أحمد في عمل تصميم لسطح البناية يكون فيه جزء للزراعات وجزء كمشتل وجلسة نجتمع فيها سوياً كل سكان البناية, فوجود المصعد سوف يسهل عليهم الصعود إلى سطح البناية خاصةً أن جميعهم من كبار السن وبعضهم بالكاد يتحركون داخل شققهم.
افتتاح.
على أنغام أغنيات فريد الأطرش كان العمل مستمراً فوق سطح البناية وكان سيد حارس البناية يستحضر العمال ليجهزوا الأحواض الخشبية ثم يفرشون فيها المادة العازلة كي لا يتسرب ماء الري إلى سطح البناية فيفسد, وإحضار التربة الخاصة من المشتل.

وكانت المرحلة النهائية إحضار الشتلات التي ستتم زراعتها والتي اختيرت بعناية حسب جودتها وملاءمتها للزراعة فوق السطح.

- هل تعرف يا أبي أن عائلة صديقتي جمانة تربطهم بعائلة فريد الأطرش علاقة نسب؟ وكانت جمانة تعشق أغنيات فريد وتقول أن جيناتهما متشابهة, لقد اشتقت لرؤيتها وجلساتنا الصباحية معاً في الأيام التي كانت تعمل فيها في الفترة المسائية.

- لماذا لم تتحدثا عبر برامج التواصل الحديثة؟ رد والدي متعجباً.

- حاولتُ الاتصال بها ولكن لا تصلها رسائلي, لا أدري ماذا حدث لها, ربما فقدت هاتفها.

وبعد الانتهاء من كل التجهيزات أقمنا احتفالاً بمناسبة افتتاح حديقتنا الجديدة, وحرصنا على حضور كل أبناء سكان البناية الموجودين في داخل مصر؛ فحضرت علياء ابنة ماما ناهد وحضر سمير ابن السيدة إحسان وزوجته لبنى وبنات السيدة إحسان سلوى وهند وسوزان, كما حضرت ماري ابنة السيدة تريز.

وكنا في انتظار حضور ياسين وزوجته وأبنائه من الغردقة, ولكن حدثت المفاجأة التي صدمتنا جميعاً.

الحادث.

تنهدت عهد وتذكرت يومها كيف كانت هي ووالدها ووالد ياسين بانتظار قدوم ياسين وزوجته ولاء وطفليهما من الغردقة لحضور الافتتاح وقضاء عدة أيام معهم في الإسماعيلية, ولكن ما حدث في الطريق كان مفاجأة للجميع.

فقد كان ياسين يقود سيارته أمام حافلةٍ سياحيةٍ تُقل سياحاً في طريقهم من الغردقة إلى العين السخنة ولكن هاجمت الحافلة مجموعة مسلحة فاختلت عجلة القيادة بين يدي السائق واصطدمت الحافلة بسيارة ياسين وعائلته فانقلبت عدة مرات وسقطت خارج الطريق السريع في الرمال على بعد حوالي كيلومتر من توقف الحافلة.

وانشغل الجميع بالحافلة والسياح, ولم تنتبه سيارات الإسعاف والشرطة لانقلاب سيارة ياسين إلا بعد مرور وقت طويل بالنسبة لأسرة تمزقت أوصالها ونزفت روافدها, فأصاب بعضها الجفاف, وتساقطت بعض وريقاتها.

لقد رحلت ولاء زوجة ياسين وطفلهما البالغ من العمر سنة, بينما بقي ياسين مصاباً بكسور متفرقة وابنته ندى ذات الأربع سنوات نجت بأعجوبة.

ظل ياسين في المشفى لمدة شهر فقد أصيب بتهتك في الطحال أسفر عن نزيفٍ داخلي وخضع لجراحة كبيرة لاستئصال الطحال بالإضافة لكسر في ساقه وذراعه وبقي بالمشفى حتى استقرت حالته بينما أخذ الجد حفيدته وتولت عهد رعايتها والاهتمام بها.

كان والد ولاء دبلوماسي كبير يعيش خارج مصر هو وزوجته السيدة ليلى وأبناؤهم, وحين عرفوا بالخبر حضروا لإجراء مراسم الدفن وأخذ العزاء ثم غادروا مصر لانشغال والدها بعمله.

رحلة علاج.

خرج ياسين من المشفى بعد تحسن حالته بينما كانت ساقه وذراعه اليسرى في الجبس, ووجدت عهد في رعاية ابنته ندى مواساةً لقلبها الجريح بفراق أبنائها وعلاجاً مؤقتاً لها؛ فهي لم تفقد الأمل في لقائهم من جديد, لا تعرف كيف يمكن ذلك ولكن ثقتها بالله لم تنقطع.

اعتادت ندى أن تنام في أحضان عهد وصارت تناديها بـ "ماما" وعلى الرغم من فرحة عهد بذلك إلا أن هذه الكلمة كانت تثير شجونها التي لم تنته يوماً.

استطاعت عهد أن تجعل سطح البناية في فترة قصيرة ينتج أزهاراً رائعة الجمال, وكانت هناك بعض الشجيرات الصغيرة التي تنتج الفلفل والطماطم والخياروالباذنجان والخضروات الورقية فصار أهل البناية يأكلون من إنتاجها وأصبح سيد حارس البناية متعهداً ببيع المحصول لتغطية تكاليف الزراعة والعناية بها.

قامت هند ابنة السيدة إحسان بعمل التغطية المناسبة للمشروع فقد كانت تعمل صحفية ومراسلة لإحدى الصحف الشهيرة, وصار مشروع عهد حديث المدينة وقامت القناة الرابعة في

التليفزيون المصري بعمل لقاءٍ معها من موقع الحدث, وقد نصحها الكثير من الناس بعمل دورات للشباب لتعليمهم كيفية تنفيذ المشروع فوق أسطح بناياتهم. وبالفعل صارت المهندسة عهد متخصصة بعمل دورات في زراعة أسطح المنازل يحجز عندها الناس قبل الدورة بوقت بسبب إقبال الناس على الفكرة وخصوصاً الشباب ممن لم يجدوا عملاً بعد تخرجهم.وكان هذا علاجاً مؤقتاً يلهيها عن التفكير في مصابها الأليم.

اتصال.

طوال الفترة الماضية كانت أشد ما تعانيه عهد هو خوفها أن تصيب والدها أو أحد جيرانها بالعدوى على الرغم من معرفتها بطرق العدوى لمرض الإيدز وانتقاله عن طريق الدم, ولكنها كانت تخاف أن يوجد بيدها ولو جرح بسيط لم تره, أو اصابتها أثناء استخدام سكين المطبخ فكانت تحرص على إرتداء زوجين متتاليين من القفازات عند تجهيز الطعام وخاصةً عند تعاملها مع ندي ابنة ياسين, وكان والدها يتعجب من ذلك ولكنها كانت تخبره أن السبب يعود لإصابتها بالحساسية منذ سفرها إلى الكويت.

على رنين هاتف المنزل تنبهت عهد بينما كانت في المطبخ تّعد طعاماً لندى, فذهبت لترد على الهاتف.

- مرحباً.

- كيف حالك يا عهد؟

شعرت عهد أن الصوت ليس بغريب عليها, فتساءلت:

- عفواً من؟

- أنا أكرم زوج جمانة, كيف حالك يا عهد؟ هل تذكرتيني؟

- أكرم كيف حالك وكيف حال جمانة؟ هل أنتم في مصر؟

فرد أكرم بصوت يقبضه الحزن:

- نعم يا عهد, نحن بالقاهرة, وجمانة مريضة وتريد رؤيتك, فهل تستطيعين القدوم لزيارتها؟
- جمانة مريضة ؟ ماذا بها؟ نعم بالتأكيد يا أكرم, أعطني العنوان وسوف آتي غداً.
وبالفعل أعطى أكرم العنوان لعهد فكتبته وعزمت أمرها على الذهاب في اليوم التالي.
لم تنم عهد ليلتها وظلت تؤرقها كلمات أكرم واختناق صوته حين تحدث عن جمانة, ظلت الأفكار تطاردها بخصوص صحة صديقتها ورفيقة آلامها في الغربة.
في الصباح الباكر انطلقت عهد في رحلة طويلة من الإسماعيلية إلى القاهرة ثم إلى المشفى الذي ذكره أكرم وكان قد أعطاها أيضاً رقم هاتفه حتى تتصل به حينما تصل ليستقبلها.
بالفعل اتصلت عهد عند وصولها للمشفى فوجدت أكرم يقابلها عند المصعد في الطابق الأرضي.
- أهلاً عهد, أعتذر على إزعاجك, ولكن حالة جمانة حرجة وقد طلبت رؤيتك بشدة, وألحت الطلب.
- ماذا بها أخبرني أرجوك؟
قالتها عهد والدموع تنهمر من عينيها كنهرين بطول سنوات الغربة التي لم يخفف آلامها سوى وجود جمانة بجانبها أكثر من أخت.
- لقد كانت تعاني من صداع شديد يدوم لفترات طويلة ولا يستجيب لأية مسكنات ثم صاحبته آلام أخرى في عينيها وضعف إبصارها وكانت تعاني من حالات فقدان الوعي, وبعد عمل

الفحوصات والأشعات ثبتت إصابتها بورم خبيث في المخ بالقرب من مركز الإبصار ينتشر بسرعة, ولا يمكن السيطرة عليه.
- يا إلهي!! أليس هناك من علاج؟
صرخت عهد فرد عليها أكرم:
- سألنا في كل مكان وكان أملنا الوحيد هذا المشفى حيث يوجد دكتور كبير متخصص في هذا النوع من الأورام, ولكن يبدو أننا جئنا متأخرين, تغيب جمانة عن الوعي لفترات ثم تفيق فتسأل عنك وتبقى مستيقظة لدقائق فقط وتغيب مرة أخرى..
أرجوكِ عهد, ابقي بجانبها حتى تجدكِ حين تفيق.
صعدت عهد مع أكرم إلى غرفة جمانة, وكانت ما تزال في غيبوبتها حتى بدأت تفيق, وتفتح عينيها.
- سأخرج وأترككما معاً
قالها أكرم وأغلق الباب خلفه.
- جمانة حبيبتي, سلامتك يا غاليتي.
قالتها عهد وهي تذرف دموعها التي لم تستطع السيطرة عليها.
- عهد اسمعيني, أرجوكِ..
لقد أجرمتُ في حقك جُرماً كبيراً أرجوكِ عديني بأن تسامحيني..
- على ماذا أسامحك يا جمانة وأنت أقرب صديقة وأخت؟
- أرجوكِ, اسمعيني, ولا تقاطعيني..

خيـــــانة.

- بعد أن سافرتِ في الصيف الماضي لزيارة والدك وتركتِ مروان زوجك وحده, وفي هذه الليلة كنتُ عائدةً من عملي وقد عرفتُ ليلتها من إحدى زميلات العمل _زوجها من عائلة أكرم زوجي_ عرفت أن أكرم تزوج ابنة عمه في تركيا منذ عامين, وأخفى عنى ذلك.

واستطردت جمانة في حديثها تغيب عن الوعي للحظات ثم تفتح عينيها وتعود للحديث..

- قابلت ليلتها مروان في المصعد وكنتُ في قمة الغضب والانكسار والقهر, كنت أتمنى لو كان أكرم أمامي فقتلته, فسألني مروان ما بي فانهرت وأخبرته بما عرفته, وأنا أبكي ولا أستطيع الوقوف على ساقي.

أخذني مروان إلى شقتكم فدخلت معه دون تردد,ونسيت حينها أنك سافرتِ في نفس اليوم.

أحضر لي ماءًا وظل يحادثني بكلمات تهدىء من فجيعتي ولكنني لم أهدأ فاحتضنني بقوة واستسلمتُ له ليس لشهوة مني فيه ولكن رغبةً في الانتقام من أكرم.

كانت الصدمة تعتري عهد فعجزت عن النطق بينما كانت دقات قلبها تفوق قوة محركات سفينة تكابد الأمواج العاتية في عرض المحيط.

- صدقيني يا عهد لم أقصد خيانتك, ولكن هذا المجرم استغل ضعفي وانهياري وقتها.

لقد وضع هاتفه على وضع التصوير حين ذهب لإحضار الماء, وصوّر كل ما حدث بيننا دون أن أنتبه لذلك, ومرت الأيام وشعرتُ بعدها بالكثير من الندم, وكنت أدعو الله أن يغفر لي ولكنني لم أجرؤ على البوح لكِ بما حدث.

ولكن بعد حديثي في إحدى جلساتنا سوياً عن عملي ومشكلة السيدة التي أتت لتلد في المركز وهي مصابة بمرض الإيدز وكيف أصابنا جميعاً الهلع حتى الموظفين من غير الطاقم الطبي.

وبعد مغادرة أكرم زوجي للذهاب لرحلته المعتادة إلى تركيا وجدت ليلتها طرقات خفيفة على الباب وحين فتحت الباب تفاجأت بوجود مروان زوجك, ثم دفعني إلى الداخل ودخل وأغلق الباب.

- اسمعي جمانة أريد منك طلباً ولا أريد أن تعرف عهد به أبداً, أرجوكِ جمانة أعرف أنك تحبين عهد كثيرا.

هكذا بدأ حديثه بكل هدوء, فسألته ماذا تريد يا مروان؟

- تعلمين أنني أريد الهجرة إلى أي بلد أجنبي, ولكن عهد ترفض ذلك بشدة, ولكن حين سمعتك تتحدثين عن هذه السيدة المصابة بالإيدز خطرت لي فكرة ولن يساعدني أحدٌ غيرك لتنفيذها.

هكذا رد علي مروان ففتحت فاهي مندهشة ومذهولة مما سمعته فأكمل كلامه قائلاً:

- فقط إصابة خفيفة لعهد عن طريق حقنة ملوثة بالفيروس تستخدمينها حين تعطينها إبرة الفيتامين المعتادة, فيصبح بعدها من المستحيل بقاؤنا هنا في الكويت, وبعدها نهاجر وتنال العلاج المناسب في البلد الذي سنهاجر إليه, وتصبح بأفضل حال.

أكملت جمانة حديثها والكلمات تمزق صدرها قبل صدري الذي لا يكاد يحتمل ما ترجُمه به من قذائف:

- صرختُ في وجهه قائلةً: يا لتفكيرك الشيطاني! أتريد أن تصيب زوجتك بهذا المرض اللعين فقط من أجل طموحاتك وهجرتك؟؟ إذا كنت تريد السفر فسافر وحدك أو حتى طلقها ولكن تصيبها بهذا المرض.. يا لوقاحتك!

تاهت جمانة قليلاً عن الوعي ثم عادت وأفاقت لاهثةً وكأنها في مهمة تريد إنهاءها بشدة.

- وضع مروان يده على فاهي وكتمه ويده الثانية لفت ذراعي خلف ظهري حتى كاد يكسره وقال لي:

- اصمتي, سوف تنفذين كل ما آمركِ به وإلا سأفضحك.

ثم تركني وفتح هاتفه المحمول وعرض على فيديو صوره لي حين كنت في شقتكم في هذه الليلة المشؤومة.
ثم أكمل حديثه:
- إذا لم تنفذي ما آمرك به فسوف أعرض هذا الفيديو على أكرم زوجك وعلى عهد, يمكنكِ أن تتخيلي ما سيفعله بكِ أكرم حينها؟ وأما عهد فسوف تطردك من حياتها شر طرده.
- فكري بالأمر جيداً ليس لتقبلي أو ترفضي, ولكن لتنفذي أوامري في أقرب وقت.
- يا لوقاحتكما أنتما الإثنان أيها المجرمون... كيف فعلتم بي ذلك؟ أنتِ يا جمانة تفعلين بي ذلك! كيف هانت عليكِ صداقتنا؟ كيف هنتُ عليكِ أيتها المجرمة الخائنة؟
- اسمعيني أرجوكِ فلا وقت لدي, أرجوكِ يا عهد انتظري..
أمسكت جمانة بيد عهد تتوسل إليها أن تسمع حديثها لآخره.
- بماذا ستخبرينني أيضاً؟ ماذا فعلتما أكثر من ذلك؟
فردت جمانة وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة بالغة وكأنها تشق الصحراء بجوف فارغ يخلو من قطرة ماء.
- لم أستطع رفض أوامره فلن يرحمني, ولو رفضت ربما فعل بكِ مكروه أفظع, ولم أستطع أن أخبرك فما كنتِ ستصدقينني فقد كنتُ أعرف مقدار حبك له, وأيضاً ما كنت لأصيبك بهذا المرض اللعين؛ ففكرت أن أضع خطة أوهمه بها أنني نفذت أوامره, فتحدثتُ مع طبيب مصري أثق فيه في المركز وأخبرته أن زوجك

يريد أن يوهمكِ بالإصابة بهذا المرض حتى توافقين على الهجرة معه ثم يخبركِ بالحقيقة بعد السفر؛ فأخبرني أنه سيعطيني نوع من الهرمونات سوف أحقنك به بديلاً عن الفيتامين فتصابين بالنزف وأنقلكِ إلى المركز وسوف يخبرك بموضوع الإصابة هو.
وكان مروان قد أخبرني أنه سيسافر إلى دبي لإنهاء إجراءات الهجرة وبعد عودته يأخذكم وتسافرون معاً.
ولكن بعد دخولكِ المركز فوجئت به قد طرق الباب علي مرة أخرى وأعطاني حقيبة ملابسك وظرفاً يحوي جواز سفركِ وتذكرة الطائرة وقال أنه يعلم أنك سترفضين الهجرة في كل الأحوال ولن يوقفه عن هجرته أحد.
- والأولاد أين هم يا مروان؟ عهد سوف تُجن إذا خرجت ولم تجدهم, لم يكن هذا اتفاقنا.. صرختُ عليه فردّ علي مُتحدّياً:
- لا شأن لكِ بذلك, ما دخلك أنت؟
إنهم أبنائي وأنا أَخْبَر بمصلحتهم, واعلمي أنكِ إذا تفوهتِ بأي حرف فسوف أعرف وسوف يصل الفيديو لزوجك ولعهد ولكل من يعرفونك.
- سامحيني يا عهد هذا كل ما استطعت أن أفعله لحمايتك من هذا الذئب ولم أعرف أبداً أنه سيخطف الأولاد ويهرب بهم.

غفـــــــران.

لم يكن بيد عهد أن تفعل شيئاً حيال جمانة وهي بين يدي الله يفصل في قضيتهما كيفما شاء, ولم تكن خيانتها الجسدية لها مع زوجها مروان هي سبب صدمتها بقدر ما كانت صدمتها في تخطيط زوجها لإصابتها بهذا المرض الخطير,ولكنها سامحتها على الأقل لأنها لم تتسبب في إصابتها كما أراد لها أقرب الناس زوجها وشريك عمرها وحبيب قلبها ووالد أبنائها.

غابت جمانة عن الوعي وكأنها تخلصت من عبء ثقيل كان يرهق كاهلها وسلّمت أمرها لله؛ إن شاء سامحها وإن شاء حاسبها بما اقترفته يداها من ذنب.

غادرت عهد الغرفة وحمدت الله أنها لم تجد أكرم بالخارج فهي لا زالت تحت تأثير الصدمة التي لم تعرف هل تفرحها أم تحيل حياتها لبؤس أكبر.

فهي سعيدة لأنها للتو قد عرفت أنها سليمة وغير مصابة بهذا المرض الخطير, ولكنها لا تعرف أين ذهب مروان بالأولاد ولا تعرف كيف تصل إليهم.

أحسَّ ياسين بقوة عهد حين زادت من ضغط أصابعها على يده بينما كانت عيناها زائغتين تحلق في السماء وتتابع حركة الطائرة في خفة بين كتل السحاب المتناثرة كالزغب الأبيض.

- عهد.. هل أنتِ بخير؟

همسَ ياسين بالقرب من أذنيها فالتفتت إليه بابتسامة هادئة, فقال لها:

- فور هبوط الطائرة سنصل لأقرب قنصلية مصرية ونعقد زواجنا هناك.

أفرجت عهد عن ابتسامتها وأطلقت أنفاسها الهادئة لتهمس له بكلمة: إن شاء الله.

ثم حلّقت من جديد في فراغ الذكريات لتعيد تفاصيل وقعت منذ زمن بعيد وكأنها كانت في حلم.

اختبار.

تسلل شعاع الشمس المنسحب ناحية الغرب ليداعب وجه عهد ويلقي قبلة صغيرة عليه, فما كان من ياسين إلا أن مد يده بهدوء ليلفها حول كتفي عهد لتتكئ على صدره وتنعم بالمزيد من الأمان بعد رحلتها الطويلة مع المعاناة والآلام.
ذلك الشعاع الدافئ الذي أرخى ظلاله على وجنتيها في رحلة العودة من القاهرة إلى الإسماعيلية في ذلك اليوم, وكانت روحها تحلق في السماء تُسابق سرعة السيارة وتتنقل في السماء بين غيماتها المتناثرة, على عكس ذلك اليوم البائس الذي عادت فيه من الكويت وحدها قبل عدة شهور, مُحملة بالأسى وقد أحاطت عنقها أساور الفضيحة والخذلان وكأنه قد كُتب على جبينها مطرودة من رحمة الله.
وكم كانت فرحة عهد حين تسلمت تقرير المختبر الذي تمتلكه صديقتها الدكتورة حنان والذي يفيد خلوّها من هذا الفيروس الخطير.
- لماذا أجريتِ كل هذه الفحوصات يا عهد, فأنتِ بخير يا صديقتي وهي مكلفةٌ جداً؟
سألتها صديقتها الدكتورة حنان والدهشة تعلو تجاعيد جبينها التي حفرتها قسوة الأيام وصعوبتها على الرغم من أنها في نفس عمر عهد ولكن يبدو الفارق في العمر واضحاً بينهما.

- لا شيئ عزيزتي حنان, اعتدنا في الكويت أن نجري فحوصاتٍ شاملة لنطمئن على صحتنا في كل عام, وهذا موعد الفحص الدوري.

ابتسمت حنان وردت على عهد:

- للأسف لا أحد يفعل ذلك هنا, بل أن معظم الحالات لا تأتي إلا بعد تمكُن المرض منهما وانتشاره.

ظروف الحياة هنا وضيق الحال جعل التفكير في هذه الأمور رفاهية, لا يمتلكها المواطن الكادح يا غاليتي.

- ولكنني رأيتُ اختلافاً كبيراً في الفترة الماضية عما سبق, فحملات التوعية أصبحت منتشرة وتدعو الناس للتوجه للمستشفيات لعمل الفحوصات الطبية الأساسية على الأقل وحملات وزارة الصحة للكشف عن فيروس C كلها أمور مبشرة.

فردت عليها الدكتورة حنان:

- بالفعل يا عهد الدولة تحاول بقدر الموارد المتوفرة ولكن ما زالت المستشفيات بحاجة للكثير من التطوير والإمداد بالأجهزة الحديثة وخصوصاً في المحافظات البعيدة عن العاصمة والقرى النائية.

هنا فقط تجرأت عهد على البوح بكل تفاصيل قصتها وسبب عودتها من الكويت دون زوجها وأبنائها, بعدما استعادت ثقتها بنفسها وعادت لها كرامتها المهدرة.

جلسة عائلية.

انتقلت جلسات القهوة إلى شرفة شقة المهندس أحمد والد ياسين حتى يسهل على ياسين مصاحبتهم فما زالت ساقه في سجن الجبيرة العنيدة وبقي على تحرره منها أسبوع ,أما ذراعه فقد تحرر لأن إصابته كانت أقل وكان التئامه أسرع.
جهزت عهد القهوة على الموقد الصغير النحاسي بينما والدها المهندس عبدالغفار يناور صديق عمره المهندس أحمد على لوح الشطرنج.
وياسين يتابعهما مبتسماً وكانت السيدة ناهد قد أخذت ندى ابنته لتقضي معها بعض الوقت فقد كانت ندى هي فاكهة البناية وروحها تتنقل بين شققها كفراشة لطيفة تنشر السعادة والأمل.
- تفضل يا عمي قهوتك.
- شكراً عهد.
- تفضل يا والدي.
وقبل أن يشكرها والدها وبينما كانت تناول ياسين قهوته أخبرتهم أنها تريد الحديث معهم اليوم عن أمرٍ هام, وسردت لهم كل تفاصيل قصتها منذ دخولها المركز الطبي حتى حصولها على نتائج الفحص الطبي من مختبر صديقتها الدكتورة حنان.
- كيف تحملتِ كل هذا الألم يا بنيتي وحدك ولم تشاركيني فيه؟ ألم نكن أصدقاء طوال العمر؟

كانت هذه كلمات والدها بينما انهمرت دموعه التي لم يستطع كبح جماحها أمامهم.
- سامحني يا والدي كنت أشعر بالخجل من هذا المرض اللعين, وكنت أخاف ألا يصدقني أحد ويخاف مني الجميع.
- كيف تقولين ذلك يا عهد؟ كيف نهرب منكِ يا ابنتي؟ هل هذا ظنك بنا؟
كانت هذه كلمات المهندس أحمد والد ياسين, وأما ياسين فقد ظل واجماً لم ينبس ببنت شفه حتى انصرف والداهما بعدما أحسا برغبة ياسين في تركهما بمفردهما وانتقلا إلى شقة المهندس عبدالغفار ليفكرا في طريقة لإعادة أولاد عهد.
- لماذا أخفيتِ عني كل ما حدث؟
ما إن همسَ ياسين بهذه الكلمات حتى انهارت كل حصون عهد التي حاولت الحفاظ عليها, ورباط الجأش الذي تمسكت به وانهارت معه كل السدود التي حبست خلفها دموعها طيلة هذه المدة, فتركها تبكي حتى تستعيد توازنها وتفرغ كل ما بداخلها من إحساس بالقهر.
ثم مد أنامله معترضاً نهر الدموع وضمها إلى صدره.
لم ينطق أحدهما بأي حرف لكن أنفاسهما واضطرام النبض وخفق القلوب قالوا كل شيء.

فصلٌ جديـــــــد.

على طاولة الاجتماعات العائلية تباحث الجميع ليضعوا خارطةً لطريق الوصول إلى مروان والأولاد, وكانت هناك الكثير من المقترحات مثل إرسال أحدٍ ليسأل عنهم في مطار القاهرة ومطار الكويت ولم يكن هذا الأمر باليسير ولكن الضابط منير صديق ياسين كان كفيلاً بمساعدتهم في ذلك فهو مسؤول كبير في أمن مطار الغردقة وصديقٌ مقرب لياسين وله معارف في معظم مطارات الدول العربية وسوف يتكفل هو بهذا الأمروهذه الخطوة هي الأهم أولاً.

لم تترك عهد حديقتها الصغيرة ولم تهملها في خضم هذه الأحداث بل زاد نشاطها وقررت إضافة نشاطٍ جديد كان حلمها, ولكن شبح المرض كان يعيقها خوفاً من أن تنقل العدوى لأحد, إنه مصنع صغير لعمل منتجات الألبان الخالية الدسم والمثلجات الخالية من السكر لكبار السن ومرضى السكر باستخدام فاكهة طازجة.

استطاع عمر ابن أخي الحاج محمود أن يمدها بالحليب الطازج من المزارع المحيطة بمدينة الإسماعيلية والفاكهة الطازجة

واستطاعت استغلا ل مساحة خالية فوق سطح البناية لهذا الغرض, وضعت فيها آلة صنع المثلجات وثلاجات خاصة لحفظ الألبان والمثلجات المنتجة, وخصص لها عمر في محل الحاج محمود ركناً خاصاً بمنتجاتها وأصبحا شريكين في هذا القسم.

نـــــــــور.

لم تتخاذل عهد أبداً في تقديم العون لأهل البناية كما اعتادوا منها برغم انشغالها بحديقتها ومصنعها الصغير, وانشغالها برعاية ندى ابنة ياسين ولكنها لم تتأخر أبداً عن رعاية سكان البناية والاهتمام بهم, وفي أثناء اتصال إدوارد الأسبوعي بوالدته تريز طلب من عهد أن تذهب إلى السجل المدني وتستخرج له صورة شهادة ميلاده المُميكنة وترسلها له عبر البريد الإلكتروني فهو بحاجة لها خلال يومين, وماري أخته في رحلة عمل خارج مصر.

وبالفعل ذهبت عهد واستخرجت الشهادة وفتحت بريدها الإلكتروني الذي لم تفتحه منذ عدة شهور لترسلها له, ولكنها فوجئت برسالةٍ غريبةٍ في بريدها وكانت مفاجأتها مذهلة حين فتحتها.

- أمي الحبيبة أعلم أنكِ الآن عند الله ولن تقرئي رسالتي, ولكنني أدعو الله أن يوصلها لكِ بطريقته التي لا أعلمها, ولكنني تعلمت منكِ أن أثق في الله وأترك له التفاصيل.

اليوم طلبت منا المُدرسة كتابة رسالة لشخص قريب إلى القلب نفتقد وجوده, وأنا أفتقدك كثيراً يا أمي, وإخوتي أيضاً, لقد تركنا والدي في هذه المدرسة ويأتي إلينا نهاية كل أسبوع ليأخذنا نقضي العطلة معه.

أكره هذا لبلد لأنكِ لستِ معنا فيه, ولكن الله أخذك عنده ولا نستطيع أن نعيدك من هذا المكان البعيد.
أحبك أمي.
إبنتك نور.
صرخت عهد من هول المفاجأة التي ضربتها بأمواج الفرحة لوصول رسالة ابنتها, وإعصار الصدمة التي تلقتها حين عرفت أن زوجها أخبر أبناءهما بوفاتها, فلم تكن تصدق ما تقرأه, ونادت على والدها بينما ما زالت تصرخ, وبعد أن عرضت الرسالة عليه وعلى ياسين ووالده طلب منها ياسين أن ترسل لابنتها على أن تخبرها أن المرسل هو جدها وأنه هو الذي فتح بريد عهد ويسألها عن اسم مدرستها واسم المدينة التي يقطنونها, فلم تكن الصغيرة لتتحمل تلك الصدمة حين ترد عليها عهد وتخبرها أنها ما زالت على قيد الحياة, وربما لم تصدقها وحكت لوالدها فمنعها من الرد عليها أوالكتابة إليها ثانية.
وبالفعل ردت عهد على رسالة ابنتها نور وذيّلتها باسم والدها وأخبرت نور ألا تخبر والدها مروان بشأن هذه المحادثات ولا إخوتها حتى تكون مفاجأة للجميع حين يأتي جدهم لزيارتهم.
انتظرت عهد رد ابنتها نور, وكانت تقضي معظم يومها تفتح بريدها الإلكتروني وتنتظر أي رسالة جديدة تأتيها عليه.
- يا إلهي! جميعها رسائل إعلانات..
- اهدئي يا عهد, سوف ترد إن شاء الله.
انتظرتُ لمدة أسبوع كامل وأنا متجمدةً أمام البريد الاكتروني أنتظر تلك الرسالة التي تعيد الحياة لقلبي الذي فقد نبضه وتجمد, ولكن لم تردني من نور أية رسائل.

رأت ماما ناهد حيرتي وقلقي كادا يقتلاني فأخبرتني أن أطلب من ابنتها سوزان المساعدة؛ فهي مهندسة اتصالات وربما تستطيع معرفة أية معلومات من الرسالة التي أرسلتها ابنتي نور.
- نعم يا عهد يمكننا معرفة معلومات وبيانات جهاز الكمبيوتر الذي أُرسلت منه الرسالة, فنستطيع معرفة البلد.
هكذا أخبرتني سوزان فأثلجت صدري بعدما تأججت نيران الشوق بداخله.
وبالفعل عرفت سوزان مكان البلد الذي أُرسلت منه الرسالة, وكانت المفاجأة أنها من كندا..
- لا تقلقي يا عهد, أخو زوجة إدوارد سوف يساعده في السؤال عن دخول أبنائك لكندا, وسوف يبلغك بأية معلومة يصلان إليها.
هكذا طمأنتني السيدة تريز وبالفعل أخبرتُ إدوارد أثناء اتصاله الأسبوعي بوالدته ووعدني بالبحث فوراً.
عاد الأمل من جديد يشرق في فضاء روحي المهترئة من كثرة الصدمات.
وكم تمنيتُ أن تنقشع هذه الغيمة ويشرق على روحي فجرٌ يشع بوجوه صغاري بين أحضاني.

أزمة جديدة.

تحرر ياسين من جبيرة ساقه وأصبح يستطيع المشي بمساعدة عكاز ويخضع لجلسات علاج طبيعي لإعادة تأهيل ساقه وذراعه, فهو بالأساس جراح ويهمه أن تتواءم حركة ذراعه اليسرى مع اليمنى ليستطيع الإبحار بمرضاه لبر الأمان.

كانت ندى تؤنسني وتنام بجواري في كل ليلة فتمنحني بعض الدفء الذي افتقدته منذ فقدت حضن أبنائي, وقد أيقظتني هذا الصباح طرقات عالية تهتك ستار السكون المعتاد في صباحات يوم الجمعة.

- عهد.. عهد..

- ماذا حدث يا ياسين؟ هل والدك بخير؟

- لقد اتصلت والدة ولاء زوجتي وتقول أنها وصلت القاهرة وفي طريقها إلى هنا.

- وماذا في ذلك؟ ربما حضرت في إجازة يسافرون بعدها لبلدٍ آخر, أليس هذا المعتاد في عمل والد ولاء؟

- كلا يا عهد, قالت أنها جاءت لتستقر في مصر, وتريد رؤيتي في أمر ضروري بخصوص ندى.

طمأنت عهد ياسين ودعته للهدوء حتى لقاء السيدة ليلى ومعرفة ما تنوي عليه.

مرت ساعتان ووصلت السيدة ليلى لشقة ياسين وكان بانتظارها ومعه والده وندى ابنته, فتبادلا السلام وجلست الجدة تمسك بحفيدتها وتحتضنها.

- حبيبتي ندى تبدين شكل والدتك حينما كانت في سنك رحمها الله.

وأكملت حديثها موجهةً نظرها نحو ياسين:

- اسمع يا ياسين أنت الآن وحيد وتعيش مع والدك وليس هناك من أم ترعى ندى وهي ما زالت صغيرة وتحتاج لرعاية وعناية فائقة في هذا السن, اتركها لي أرعاها وأربيها كما ربيت والدتها, ويمكنك أن تراها وقتما تشاء.

انزعج ياسين بشدة من حديث والدة ولاء التي تتحدث عن الحب والعطاء وهما أبعد ما يكون عما عرفه من زوجته عن شخصيتها, فلم تكن السيدة ليلى مثالاً للأم الحنون, والزوجة المثالية بل كان كل ما يشغلها حفلات السفارات وحضور الندوات التي تتحدث عن البيئة ومواجهة ظاهرة الاحتباس الحراري, ليس خوفاً على العالم من كارثةٍ مُنتظرة ولكن رغبةً في الشهرة واختيارها ضمن الشخصيات النسائية الأكثر نشاطاً للحفاظ على البيئة.

فعن أي رعاية تتحدث وأي عاطفة ستمنح؟

طلب ياسين من والده أن يصطحب ندى لغرفته حتى يمكنه الحديث مع جدتها, وبالفعل اصطحب الجد حفيدته وابتعدا فصارح ياسين السيدة ليلى بأنه لن يتخلى عن مسؤوليته تجاه ابنته وأنه لن يرعاها أحد سواه, ومتى تريد هي رؤيتها فلتتفضل لزيارتهما كما فعلت اليوم.

- اسمع يا ياسين, لقد تحدثت معك باللين أولاً ولكن إن لم تنفذ كلامي وتترك لي ندى بإرادتك فسوف آخذها رغماً عنك؛ فأنا جدتها وأنا أولى بحضانتها من أبٍ مستهترٍ كان يقود سيارته برعونةٍ وتسبب في قتل والدتها وأخيها.

هذه قضية بسيطة وأعرف كيف أكسبها وحينها سوف تفقد ابنتك إلى الابد.

أظهرت ليلى وجهها القبيح وتحدثت بكل قسوة وصلف, ولكن ياسين لم يهتز له جفن_ على الأقل أمامها_ وقال لها:

- أريني كيف ستأخذينها إذن.

خرجت ليلى وألسنة الشر تتطاير من حولها وقد استنفذت معها كل أوكسجين المكان؛ فخرج ياسين للشرفة يحاول أن يلتقط أنفاسه ويمزق قناع التجلد الذي أظهره أمامها ليبدو من خلفه ضعيفاً مقهوراً لا يدري كيف يتصرف؟

حضرت عهد مسرعةً بعدما سمعت زمجرة الباب رداً على انتزاع ليلى لمقبضه حين خروجها, واندفعت نحو ياسين في الشرفة

تدعوه أن يهدأ ويحكي لها ما حدث بعدما رأته في حالةٍ من شبه فقدان الوعي بينما ما زالت عيناه مفتوحتين.

- اجلس يا ياسين واهدأ.

حكى لها ياسين ما حدث.

- هذه المرأة المجنونة ماذا تريد مني ألم تكتفِ بما حدث وفقداني لزوجتي وابني؟ تريد أن تسلبني آخر ما تبقى لي من أمل.

كانت كلمات ياسين تمتزج فيها مشاعر الغضب بمشاعر الألم فهو لم يتحدث من قبل عن مشاعره بعد هذه الفاجعة وكان دائماً ينشغل بالحديث عنها بأي شيء آخر.

- لا عليك سوف نجد حلاً إن شاء الله.

ثمّة حـــــــل.

استطاع أخو زوجة إدوارد من خلال بحثه في حركة مطار تورنتو في كندا خلال الفترة التي حددتُها لإدوارد أن يجد أسماء مروان والأولاد في قوائم الوصول, ولكن هذا لا يؤكد بقاءهم في نفس المنطقة فربما انتقلوا إلى مكان آخر بعدها, ولكن سوزان ابنة ماما ناهد أكدت أن الرسالة أُرسلت من نفس المنطقة.

كان هذا أفضل خبر سمعته منذ عدة شهور.

- ولكن ما الخطوة التالية؟

سألني والدي فأخبرته أنني سوف أسافر وأبحث عنهم بنفسي.

- هل تعتقدين أن الأمر بهذه البساطة يا بنيتي؟ تحتاجين الحصول على تأشيرة دخول لكندا والأمر ليس بالسهل, إضافة لكونكِ لا تعرفين مكانهم بالضبط فهل ستذهبين لهذه المدينة الكبيرة وتطرقين ابواب منازلها واحداً تلو الآخر؟

- يا والدي لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك, لا أحد يشعر بي.

- بل أشعر بكِ يا ابنتي ولكن علينا بدايةً أن ندرس الأمر جيداً قبل التحرك.

كان ياسين مشغولاً بأزمته مع والدة ولاء زوجته, ولا يعرف كيف يتصرف, فتحدثتُ مع أحد محامين الحي وأخبرته بالموضوع كله, فرد الأستاذ ماجد المحامي قائلاً:

- الأمر ليس بهذه البساطة, والاتهامات لا تلقى جُزافاً, فهذه السيدة تلعب بمشاعر ياسين وتُخيفه بمركز زوجها ونفوذه ولكن تحقيقات ومعاينات الشرطة تثبت أن سبب الحادث لم يكن مسؤولية ياسين وهذا يحسم القضية؛ فالقانون واحد ولا يخضع لأهواء أحد.

- هكذا رد عليّ المحامي حين عرضتُ عليه الأمر, فاهدأ ولا تقلق سوف نتعامل مع هذه السيدة بمثل أسلوبها.

كانت هذه كلمات عهد تهدئ بها من روع ياسين الذي أصبح كالطفل لا يعرف ماذا يفعل وهو مهدد بالإخفاق في أول امتحان يجتازه.

- تماماً مثل أمه السيدة أحلام؛ طيب القلب رقيق المشاعر ينزعج من أي سلوكٍ غير سوي يبدر من أي شخص يتعامل معه, فيتحامل على نفسه ولا يرد الغضب بالغضب.

كان هذا وصف المهندس عبدالغفار والد عهد لياسين ووالدته, فقد تركها زوجها المهندس أحمد وآثر البقاء في ليبيا للعمل هناك لسنوات طوال, ولم يعد سريعاً مثلما فعل والد عهد, وكان أحمد وزوجته أحلام متناقضين في كل شيء؛ فهي هادئة رقيقة تتحمل المسؤولية دون شكوى أو تملل, أما أحمد والد ياسين فقد

كان في داخله طفلٌ صغير, عنيد يغضب لأتفه الأسباب على الرغم من طيبة قلبه, ولكنه أيضاً لا يتحمل مسؤولية أي شيء, ولم يلتقط منه أبناؤه ياسين ومنى أي صفة فقد كانا يشبهان والدتهما في كل الصفات نظراً لبعده عنهم في مرحلة تشكل الشخصية والطباع.

سألت عهد عن السيدة ليلى بعض الجيران فقد كانت شقتهم القديمة في نفس الشارع, وعرفت من سعاد زوجة سيد حارس البناية عن طريق أحاديث زوجات حراس البنايات أنها عادت إلى شقتهم وفتحتها وتقيم فيها وحدها الآن.

فعزمت عهد أمرها وذهبت لزيارتها.

- أنا عهد جارة ياسين ونحن أصدقاء تربينا معاً كأسرة واحدة.

- أعرف لقد التقينا في فرح ولاء وياسين.. ردت ليلى ببرودها الذي ترتديه قناعاً يخفي خلفه الكثير من الحكايات.

- جيد أنكِ ما زلتِ تتذكرينني, اختصرتِ الكثير من الكلام والجهد, فلندخل في الموضوع إذن.

ليـــــــــلى.

بدأت عهد بمحاصرة ليلى وإظهار تلميحات في طيات حديثها تفيد بمعرفتها باستقرار ليلى في شقتها وربما تكون قد انفصلت عن زوجها من يدري, فكل شيء متوقع بناءًا على ما ذكره لها ياسين من حكايات عن هذه الأسرة المفككة.

لم تبدِ ليلى في البداية أية استجابة لتلميحات عهد ولكنها بعد حديثها عن قصتها لليلى وفراقها لأبنائها رق قلب السيدة أخيراً ولان وقد كانت تلك مفاجأة لعهد فلم تكن تتوقع ذلك من أول زيارة لها.

كان الاكتئاب والضيق واضحين على وجه السيدة ليلى الذي خلا من مساحيق التجميل والأصباغ التي لمحتها عهد عند زيارة ليلى لياسين من الشرفة أثناء مغادرة ليلى للبناية وركوبها للسيارة التي كانت تقف بانتظارها.

غادرتها عهد بعد أن وعدتها بزيارة أخرى وبالفعل زارتها بعد عدة أيام وكانت معها هذه المرة ندى حفيدتها بعد أن استأذنت والدها ياسين.

على الرغم من قلق ياسين من هذه الزيارة إلا أنه وافق لثقته في عقل عهد وزنتها للأمور.

كانت السيدة ليلى هذه المرة أكثر ضعفاً ووهناً وعلى الرغم من ذلك أصرت عهد أن تأخذهما في نزهة بأحد النوادي المطلة على

بحيرة التمساح , لكسر حالة الرتابة والجمود وإذابة هذا التوتر الذي يتملك السيدة ليلى.
وبالفعل عاد الثلاثة أكثر راحة وأحست عهد ببادرة أمل.
تعددت خروجات ليلى وعهد وندى واستطاعت عهد كسر هذا القناع الذي اعتادت السيدة ليلى ارتداءه ليظهر أسفله شرخ كبير عانت منه لسنوات ولم تجرؤ على البوح به لأقرب الناس إليها.
ولكن من هم هؤلاء الأقارب؟
- فجأة اكتشفتُ أنني وحيدة وليس لي صديقات أو أقارب أستطيع الحديث معهم, فقد اعتدتُ الترحال مع زوجي الدبلوماسي الكبير أشرف بك كما ينادونه, لا وطن أحن إليه ولا ذكرى أزرعها في مكان, فكلما اعتدتً على منزل نحلُّ فيه ننتقل لغيره, ليس المنزل فقط بل البلد بأكمله.
كانت هذه كلمات السيدة ليلى لعهد بينما كانت تلهو ندى في ركن الأطفال وهما تتابعانها بأعينهم.
- لماذا إذن لم تعترضي؟ أو تطلبي العودة لمصر والبقاء فيها؟
سألتها عهد بحُسن نية ولم تكن تدرك أبعاد الأمر.
- لم يكن لديّ الخيار, فلو طلبت من أشرف زوجي البقاء في مصر فلن يعترض ولكنني سأخرج من حياته للأبد وسوف يستبدلني بزوجةٍ أخرى دون تضييع وقت, أنا مجرد واجهة لاكتمال الصورة تماماً مثل البزات التوكسيدو لا تكتمل أناقتها دون وجود ربطة العنق.
أخذت السيدة ليلى نفساً عميقاً وكأنها تريد احتضان هواء مصر كله وتحتويه في صدرها دفعةً واحدة.

- لقد مللت الترحال وبعد أن فقدت ابنتي الوحيدة ولاء أدركتُ أنني فقدت حياتي كلها ولم أعشها, حتى أولادي أخذوا طباع والدهم الجامدة ونسوا أنني والدتهم, لذلك عُدتُ لأحتضن ندى وأمنحها ما عجزت أن أمنحه لوالدتها.
- ولكنكِ سوف تتسببين بحرمان والدها منها..
- لا, لم أكن أنوي ذلك أبداً, ولكنني اضطررت لتهديده ليخاف ويوافق على طلبي, فأنا أعرف أن الرجال لا يصبرون على البقاء دون نساء, وبالتأكيد سوف يتزوج فكيف أتركها لزوجة أب تربيها في وجودي؟
- لا تقلقي, سوف يتفهم ياسين مشاعركِ ولن يحرمك منها أبداً, ولكن ليكن الأمر بهدوء وسلام وتتربى البنت في وسط أسرتها دون مشاكل.
هكذا ردت عليهاعهد, ثم دعتها لتناول الغذاء معهم يوم جمعة فسكان البناية يجتمعون كل يوم جمعة على السطح ويقضون يومهم معاً في حديقتها البديعة.

لقـــــــاء الجمـــعة.

اندمجت ليلى مع سكان البناية شيئاً فشيئاً,وزاد عدد الأشخاص المسؤولين من عهد فرداً, ولم يصدق ياسين تأثير عهد الواضح في تغيير شخصية ليلى, ولكن الحقيقة أن صدمة فقد ولاء هي التي هزّت مشاعر والدتها وأفاقتها من غفلتها.

اندمج المهندس عبدالغفار والد عهد والمهندس أحمد في الحديث عن مدينة الإسماعيلية وذكريات طفولتهم فيها, وشاركهم الحديث الحاج محمود وقد كانت أسرته من الأسر التي فضلت البقاء في المدينة بعد هزيمة عام 1967 وطوال فترة حرب الاستنزاف يساعدون الجنود في مقر معسكر الجيش الثاني بالإسماعيلية ويمدونهم بالمواد الغذائية وينقلون لهم أخبار جيش العدو الصهيوني.

وكان أهل المهندس عبدالغفار من سكان الإسماعيلية الأصليين أما المهندس أحمد فقد هاجرت عائلته من العريش منذ حرب 56 وبعد انتصار مصر في حرب 73 وعودة سيطرتها على أراضيها عاد البعض ولكن والد المهندس أحمد كان ممن آثروا البقاء في الإسماعيلية.

- هل تذكر يا أحمد كيف كنا ننتقل إلى المنوفية للدراسة في الكلية؟

فرد عليه المهندس أحمد ضاحكاً:

- وهل تُنسى هذه الأيام! هل تذكر كيف كنا نستقل القطار في الزحام وبالكاد تجد مكاناً لقدميك!

انتقلت كلية الهندسة من مقرها بمدينة السويس إلى شبين الكوم بعد هزيمة 67 واضطررنا للسكن هناك لصعوبة السفر إلى الإسماعيلية لظروف الحرب.

وتدخلت السيدة ناهد قائلة:

- هاجرنا لمحافظة الشرقية مع عائلتي وعائلات كثيرة من نفس الحي, وكان أهل الشرقية كما يطلقون عليهم أهل الكرم, فقد استقبلونا في المدارس والمساجد وفتحوا بيوتهم لنا وكانوا يحضرون لنا الطعام والأغطية, وعشنا بينهم ولم نشعر أبداً بالغربة, كان أكثرنا نساءًا وأطفالاً وشيوخاً وأما الشباب فظلوا مرابطين يساعدون الجيش هنا.

كانت السيدة ليلى جدة ندى تتابع الأحاديث وكأنها تسمع هذه القصص لأول مرة فهي لم تكن يوماً من أهل الإسماعيلية ولم تعرف عنها شيئاً.

وكان ياسين يشعر بالراحة لاندماجها مع أسرة البناية وتحمل نظراته لعهد الكثير من الامتنان والرضا.

الرحلة.

تمكن الأستاذ ماجد المحامي من رفع قضية مستعجلة لضم أبناء عهد لحضانتها فهم ما زالوا صغاراً وكانت نور أكبرهم لم تتجاوز الثامنة بعد, وبالفعل كسبت عهد القضية وحصلت على حكم غيابي حيث لم يُعرف عنوان مروان زوجها.
استطاع إدوارد أبن السيدة تريز من الوصول إلى مقر عمل مروان زوج عهد السابق, فأخبرها بذلك واقترح عليها الذهاب إلى هناك فربما بقليل من الضغط بالإضافة للحكم الذي حصلت عليه تصل معه لحل.
قدمت عهد أوراقها للحصول على تأشيرة لدخول كندا وبعد عدة محاولات وعن طريق بعض معارف السيدة ليلى استطاعت الحصول على التأشيرة وبدأت في التجهيز للسفر.
- كم تمنيت أن أرافقكِ في هذه الرحلة, ولكنك تعلمين أن ظروفي الصحية لاتسمح يا بنيتي.
ردت عهد على والدها:
- أعلم يا أبي, ولكنك ستبقى بجانبي وسنظل على اتصال ودعواتك سوف تصلني وتحميني أينما كنت.
- يعلم الله يا بنيتي دعواتي لكِ في كل لحظة, وقلبي معكِ في كل مكان.

مسح المهندس عبدالغفار دموعه واحتضن عهد وربت على كتفها.
حمل سيد حارس البناية حقيبة عهد ووقفت تصافح أهلها سكان البناية التي نالت منهم كل الحب والعطف وتوصيهم بحديقتها أن يعتنوا بها, وكانت السيدة ليلى تقف معهم تحبس دموعها وما إن صافحت عهد واحتضنتها انفجرت بالبكاء وشكرتها على ما قدمته لها من مساعدة لا تقدر بثمن.
- هيا يا عهد سنتأخر.
كانت كلمات ياسين لعهد يستعجلها للخروج.
وفي الطريق إلى القاهرة كان ياسين يعاتب عهد:
- لماذا لم توافقي على مرافقتي لكِ؟ كيف ستذهبين في هذه الرحلة بمفردك؟
فردت عهد هامسة كي لا يسترق السائق المنهمك في سماع أغنياته الشعبية السمع لكلماتها:
- ندى تحتاجك يا ياسين وجميع سكان البناية أيضاً, فأنت تعلم أحوالهم وحاجتهم للرعاية, وأنا يمكنني أن أتدبر أحوالي وسوف يكون إدوارد ابن السيدة تريز بجانبي.
وقفت عهد تصافح ياسين وكانت عيناها تتهربان من لقاء عينيه, ثم انصرفت بسرعة قبل أن تنهار مقاومتها لتغيب بين جموع المسافرين.
ألقت عهد بنظرة خاطفة على من حولها في المطار, أغنياء ذاهبون لقضاء إجازاتهم على شواطئ الريفييرا, وآخرون متجهين إلى جزر المالديف, بينما هناك من ذهب لرحلة علاج لا يدري إن كان سيعود بعدها على ساقيه أم محمولاً في صندوق.

وعلى الجانب شبابٌ صغار يفترشون الأرض وينتظرون ذلك الرجل البدين القادم مهرولاً من بعيد يحمل عقود العمل التي أوهمهم بها حتى يصلوا لبلاد غريبة فلا يجدوا هناك سوى الوهم.
وعلى مرمى النظر جموع ترتدي ملابس بيضاء ويعلم الله وحده ألوان قلوبهم, اجتمعوا على الذهاب لبيت الله وهو وحده يعرف أسباب كل منهم.
وأنا أقف وحدي بين كل هؤلاء, لا أعرف شيئاً سوى أنني لن أعود إلى وطني دون أبنائي مهما حصل.
تنبهت عهد وأعادها من تحليقها في عالم الذكريات صوت المضيفة:
-عل السادة الركاب ربط الأحزمة استعداداً للهبوط.
فاعتدلت عهد في جلستها وربطت حزامها ثم نظرت لياسين فمد يده إليها وأمسك كل منهما بيد الآخر وقد عقد كلاهما العزم على إتمام المهمة.

محتوى الكتاب

بطاقة الكتاب 2
إهداء 4
عام مضى 5
أنين الغربة 7
بدايات 10
الصدمة 12
انكسار 15
صدمات 18
جماهة 20
فاجعة 23
مفاجأة 27
حنين 29
أمل 34
نظرة أخرى 39
عهد 41
انطلاق 44
الحادث 47
رحلة علاج 49
اتصال 51
خيانة 54
غفران 59

اختبار 61
جلسة عائلية 63
فصل جديد 65
نور 67
أزمة جديدة 71
ثمة حل 74
ليلى 77
لقاء الجمعة 80
الرحلة 82
محتوى الكتاب 85

مسابقة أفضل إصدار لعام 2019
(الدورة الثالثة) فبراير 2020

من أبرز أنشطة مؤسسة النيل والفرات الثقافية النصف سنوية ، وأحد أفرع المسابقات الهامة التى تخدم الإبداع والمبدعين فى الوطن العربى ، الهدف منها طبع ونشر أفضل الكتب المطبوعة خلال العام من إصدارات مؤسسة النيل والفرات فقط (فى دورتي يوليه وديسمبر) علما بأنه يتم الإعلان عن المسابقة فى شهرى يناير ويوليه من كل عام ويتم تكريم الفائزين فى المسابقة فى شهرى (يوليه وديسمبر من كل عام) فى مجالات (الشعر الفصيح – شعر العامية المصرية – الشعر الغنائى – الأدب الشعرى – القصة – الرواية – التأليف المسرحى – النقد – الدراسات والأبحاث – المساجلات الشعرية – أدب الطفل) ،

يتم الإعلان عن المسابقة فى شهرى (يناير – يوليه) من كل عام على مواقع النت الخاصة بمؤسسة النيل والفرات وعلى الصفحة الرسمية للمؤسسة

بالشروط الآتية :

1 – لا يشترط السن

2 – أن يكون المبدع عربيا

3 – أن يتقدم المبدع بعمله الإبداعى فى فرع واحد فقط

4 – أن يكون العمل المقدم فى ملف (word) مفتوح ويتم استبعاد الملفات المقدمة بصيغة (bdf) نهائيا من المسابقة

5 – للمتسابق حرية تقديم كتابه واختيار الموضوع الذى يرغبه بشرط ألا يسىء للأديان أو يحمل عداوة وألفاظ نابية

6 – ألا يزيد الكتاب المرشح للمسابقة عن (80 صفحة)

7 – يرفق مع الكتاب صورة جواز السفر للمبدعين العرب و صورة الرقم القومى للمبدعين المصريين وصورة شخصية حديثة وتصوره لشكل الغلاف

8 – أن يكون الكتاب من إصدارات مؤسسة النيل والفرات

9 – آخر موعد لتلقى المشاركات للدورة الأولى نهاية فبراير وللدورة الثانية نهاية أغسطس من كل عام

10 – الإدارة غير ملزمة برد الكتب المقدمة للمسابقة ولا تقدم تفسيرا لمن تم رفضهم فى المسابقة نهائيا

11 – جوائز المسابقة (طبع الكتاب الفائز وتسويقه ورقيا وإليكترونيا – درع كريستال – شهادة تقدير – ميدالية المؤسسة – خصم 20% على كل مؤلفات الفائز الأول المطبوعة فى مؤسسة النيل والفرات مدى الحياة – كارنيه اللقب)

ناجى عبد المنعم

رئيس مجلس الإدارة

نتائج مسابقة أفضل إصدار لعام 2019

أولا : الشعر الفصيح			
م	إسم المبدع	عنوان العمل الفائز	الجنسية
1	بابكر عطية	دفتر التراب	السودان
2	أحلام غانم	قداحة العشق	سورية
3	د. ليلى الخفاجى	رقص على شفاه متمردة	العراق

ثانيا : شعر العامية المصرية			
1	جيهان عبد الرؤوف	كفوف الوقت	مصر
2	منى الغريب	حضرة صاحب العصمة	مصر
3	أحمد حلمى	كتابين التاريخ	مصر

ثالثا : الشعر الغنائى			
1	نبيل نجاح	أنهار من الدموع	مصر
2	عدنان المصرى	قطر الحياة	مصر
3	محمد سليمان	موال الصبر	مصر

رابعا : الشعر الشعبى العربى			
1	د. مجيد أوداعه	شوك البلابل	العراق
2	عبد راضى الشامى	شذرات شعبية عراقية	العراق
3	سالم الحمدانى	غنة ولا يتنه	العراق

خامسا : القصة			
1	د. أحمد القندوسى	هذيان قلم دكتور	المغرب
2	إيهاب همام	أوراق متناثرة	مصر
3	خالد الحديدى	سقوط أسطورة البركة	مصر

سادسا : الرواية			
1	د. أمل درويش	عهد	مصر
2	ضحى أحمد	ومضى	سورية
3	هند الهلاوى	الأنثى والجلاد	مصر

سابعا : التأليف والنقد المسرحى			
1	حيدر الأسدى	طرق أبواب الأزمنة	العراق
2	أحمد طه حاجو	نبضات مسرحية	العراق
3	نهى يسرى	الفئران تأكل الحديد	مصر

ثامنا : الدراسات والأبحاث			
1	عبد المجيد بطالى	خطاب الومضة القصصية	المغرب
2	د. محمد فتحى	العقاد فى موكب العباقرة	مصر
3	السعيد عبد العاطى	سقوط مملكة الشعراء	مصر

تاسعا : أدب الأطفال			
1	سهام عثمان	فزورة صغيورة	مصر
2	شاكر صبرى	الشجرة الباكية	مصر

عاشرا : المساجلات الشعرية			
1	فى حب مصر	رضا أبو الغيط سميرة محمودى	مصر
2	ورقة شجر	محمد رجب د. أمانى إبراهيم	مصر